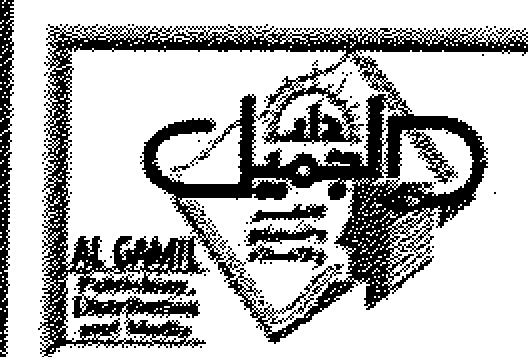
# سليمان الحكيم

مسرواية مستقبلية..

# إستنساخ عبد الناصر:

# فلما عاد الزعيم..

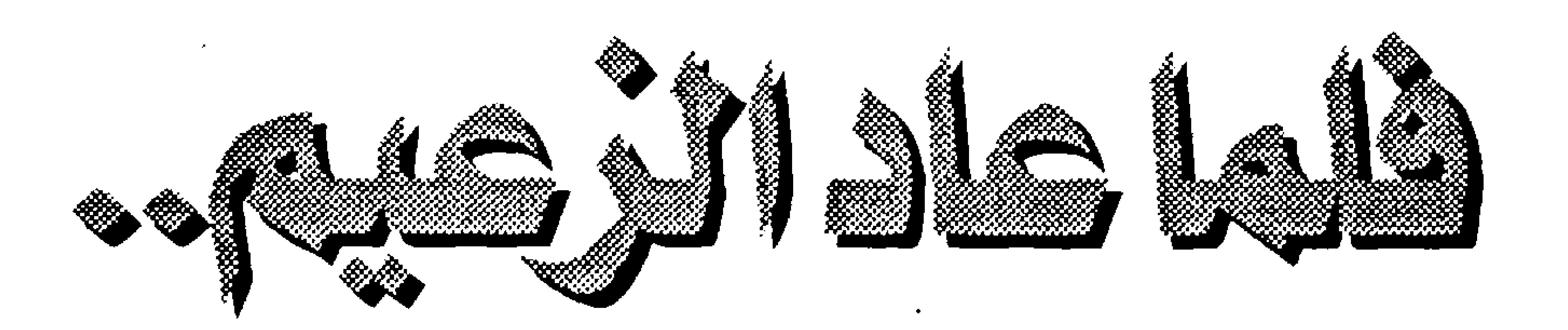




سليمان الحكيم

مسرواية مستقبلية..

# استنساخ عبدالناصر :



إشراف فني : عـصام أنور

الغلاف : محـمد العوضي

اخـراج : عزت اسـماعـيل

رقم الايـداع : ١٣٢٤٨ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : 3 - 23 - 5849 - 977

الناشـر

دار الجـميل للنشـر والتـوزيـع والإعـلام

١ /أ شارع جمال الدين ابوالمحاسن
جاردن سيتى
القاهرة
تليفون : ٧٩٤٩٤٢٣
٧٩٤٥٨٩٥
فاكس : ٧٩٦٣٥٩٩

# كلمة أولى

ما أحوجنا إلى «بروسترويكا» ناصرية. بل بروسترويكا فى مختلف نواحى الفكر والحياة. نحتاجها وقفة للمراجعة وليست للتراجع.

لقد أصبحنا فى حاجة إلى أفكار جديدة.. تتناسب مع واقع جديد نجد أنفسنا فى خضمه محاصرين بأفكار قديمة، كانت جديدة حين كانت تعكس واقعًا جديدًا.. وحين أصبح الواقع جديدًا تجاوز ذاته وتجاوزنا. فارضا علينا اللحاق به وملاحقته بأفكار تتناسب معه جدة ومرونة.

ولكننا لازلنا نستدعى الأفكار من خزانة الماضى. يابسة وجافة. ونستنطق الموتى باحثين عن حلول لديهم لمشكلات لم يخبروها ولم ترد لهم حتى على بال. وكان الله قد خص هؤلاء فقط بنعمة العقل ولم يتفضل علينا بشىء منه لنفكر فى واقعنا كما كانوا يفكرون فى واقعهم. ونحل مشكلاتنا بنفس الطريقة التى كانوا يفكرون بها فى واقعهم. فأصبحنا رجعيين بشعارات تقدمية.. ومتخلفين تحت رايات نهضوية ومستقبلية. ولأننى ناصرى فقد أصابنى ما أصاب الناصريين من تخلف وجمود. فكان علىَّ أن استدعى جمال عبدالناصر ليقول لنا رأيه فيما نحن فيه مختلفون. فقال رأيه فى كلمة واحدة : المراجعة بلا تراجع. والتجديد بلا تبديد.

هكذا أصبح حالنا الآن أن نرجع الزعيم لنراجعه تخلصًا من الرجعية. وهروبًا من الهروب!!

**سليمان الحكيم**

# استنساخ عبد الناصر:

▪▪ الناصريون يرفضون عودة عبد الناصر.. ويقولون انه صنع فى امريكا!!

▪▪ عبد الناصر يقول: لو كان الأمر بيدى.. لبقيت فى قبرى!!

▪▪ أمريكا تريد محاكمته بتهمة الارهاب.. وإسرائيل تحاكمه بتهمة جرائم الحرب ضدها..!!

▪▪ استنساخ عبد الناصر يفتح الباب أمام عودة زعماء العالم السابقين!!

▪▪ عبد الناصر يصرخ: يمكنكم استنساخ البشر.. ولكن لا يمكنكم استنساخ الظروف!!

(١)

نظر إلى ساعته فى قلق، ربما للمرة العاشرة، ومط شفتيه فى قرف لم تلحظه الفتاة التى كانت تجلس قبالته إلى آلة كاتبة تدق عليها فى رتابة..

تك.. تك.. تك.. تم.!

أراد أن يوصل قلقه لها، فوضع ساقًا فوق أخرى بعد أن مدها بعيدًا لتصل إلى نظرها. ثم رفع ذراعيه بطريقة مسرحية ليعقدهما على صدره. وأتبع ذلك بتنهيدة أخرج فيها كل ما يحمله من قلق ممزوج بالقرف. والاعتراض والتبرم.

أخيرًا رمقته الفتاة بنظرة من خلف نظارتها، ولكن يديها لم تكفا عن الدق.

تك.. تك.. تك.. تم!!

حين عادت الفتاة بناظريها إلى الورق.. لم يجد أمامه غير العودة إلى الجدران ليتصفحها من جديد: هذه قطعة من النحاس الأصفر حفر عليها باللون الأسود عبارة: «رئيس الحزب» معلقة على الباب إلى يمينه.. وهذه آية قرآنية تقول «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».. وهذا ملصق من الورق عليه علم فلسطين، مكتوب تحته «فلسطين عربية».. وهذا ملصق أكبر مكتوب عليه عبارة «ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة» موقع تحتها باسم جمال عبدالناصر.. وهذه صورة بالحجم الكبير للزعيم عبدالناصر، مكتوب فوقها: الزعيم الخالد جمال عبدالناصر..

وقف على قدميه.. واقترب من الصورة التى كانت تعلو

هامتـه.. وحملق فيهـا شارداً.. حتى لكأنه راح فى نوبة من النوم العميق وعيناه مفتوحتان على اتساعهما.

لم يستيقظ إلا على يد الفتاة وهى تربت بها على كتفه: يا أستاذ.. اتفضل.. سعادة الريس فى انتظارك بالداخل. وأشارت إلى الباب. فأمسك بالمقبض وهم بالدخول لولا نظرةٍ أخيرة إلى صورة الزعيم الخالد جمال عبدالناصر استوقفته قليلاً قبل أن يدير مقبض الباب فى يده ويدخل.

اغلق الباب خلفه بعناية لاحظها الرجل الذى وقف خلف مكتبه ممسكًا بعكاز فى يده اليسرى.. أما يده اليمنى فقد سارعت بالسلام على الضيف.

— أهلاً.. وسهلاً

قالها «الريس» وهو يحاول الإفلات من الزحمة المحيطة بمقعده خلف المكتب.. ولكن الضيف سارع إليه ليعفيه من مشقة المحاولة.. مد يده إليه قائلاً:

— أنا الدكتور جيمى أبوشريف.. أمريكى من أصل عربى.

قالها الرجل فى لكنة أجنبية خلط فيها بين العربية والأمريكية.

أشار «الريس» له بالجلوس على أحد المقعدين المواجهين لمكتبه. واستدار هو بصعوبة ليجلس قبالته على المقعد الآخر. تتوسطهما طاولة عليها صورة صغيرة وضعت فى برواز زجاجى للزعيم جمال عبدالناصر.

جلس «الريس» على مقعده.. وهو يردد عبارات الترحيب مشوبة بالتساؤل.. وربما الحذر.

- أهلاً.. وسهلاً.. حمداً لله على السلامة.

- الله يسلمك.

- لابد وأن القهوة العربى أوحشتك..

- الحقيقة أن القهوة العربى مُرة، ولهذا أفضل الشاى.

- كل شىء عربى أصبح مراً هذه الأيام.. فما الذى لايجعل القهوة العربية مُرة؟!

قالها «الريس» بلهجة مازحة.. رافعًا التكليف مع ضيفه، ربما ليشجعه على الكلام وكسر حاجز الغموض الذى أصبح يلف المكان منذ دخوله.

لم يخب ظن «الريس».. وجاءت الاستجابة أسرع مما كان يتخيل.

- الحقيقة أن هذه «المرارة» هى التى جاءت بى إليكم اليوم. لقد قرأت مقالكم الأخير فى صحيفة «العرب» والتى تتحدثون فيها عن الوضع العربى الراهن، والمرارة التى يشعر بها العرب فى حلوقهم بسبب الشعور بالاحباط والخيبة.

- نعم يا سيدى.. هذا صحيح.

قالها «الريس» ممزوجة بلذة النصر.. والفخار. ثم أردف وهو يميل فى مقعده:

- وهل تصلكم «العرب» فى أمريكا!

- نعم.. ونحن نقرأها بانتظام.

شعر الريس بمزيد من التيه.. ولكن الضيف أضاف قائلاً:

– كلما تيسر لنا ذلك.. أنا عن نفسى لا أجد وقتا كثيراً أقضيه فى القراءة بعيداً عن تخصصى العلمى.

– وما هو تخصصك العلمى؟

– أنا عالم فى الهندسة الوراثية. وأستاذ بجامعة برنستون. وأرأس فريقًا من العلماء لدراسة الاستنساخ.

– هذا عظيم.. عظيم أن نجد بين العرب من يهتم بهذا العلم الحديث، حتى لا نترك للآخرين فرصة التقدم علينا.

– الحقيقة أننا.. أو أنا عن نفسى لم أتخصص فى هذا العلم بالذات.. لهذا السبب بالذات. لأننى من المؤمنين بعالمية العلم. فالعلم لا يعرف الجنسيات أو القوميات أو الأديان فالعلم نفسه قومية ولغة. فليس هناك علم أمريكى وآخر روسى. أو علم مسلم وآخر مسيحى.

– ولكن هناك عالم روسي.. وآخر أمريكى، وعالم مسلم وآخر يهودى. ألست معى؟

– هذه جنسيات وأديان يتصف بها العلماء.. ولكن علمهم يظل بعيداً وبمنأى عن ذلك كله. فالتجربة العلمية يجريها العالم المسلم كما يجريها العالم اليهودى. وتعطى نفس النتائج إذا أجريت فى نفس الظروف.. وبنفس الشروط.. على أية حال يمكن أن نتحدث فى ذلك فى وقت آخر. أما الآن.. نظر إلى ساعته وهو يقول فى عجلة.. جئت لأتحدث فى موضوع آخر.

– خير إن شاء الله.. تحت أمرك.

قالها «الريس» ليحثه على مواصلة الكلام فى الموضوع الذى

جاء من أجله وأثار فضوله.

– جئت لأحدثك فى موضوع الاستنساخ.

– وما شأنى أنا بهذا الموضوع؟ أنا رجل يفهم فى السياسة.. ومعلوماتى عن هذا الموضوع لا تتعدى المعلومات التى حصلت عليها من الصحف.

ابتسم الضيف ليخفف من ورطة الريس التى شعر أنه اصابه بها دون أن يقصد.. قال:

– لم أقصد.. كل ما قصدته هو اطلاعكم على سر خطير يتعلق بموضوع الاستنساخ الذى هو تخصصى العلمى كما قلت لك.

– سر خطير؟!.. ما هو يا ترى؟

اعتدل «الريس» فى جلسته ومال قليلاً بجزعه إلى الامام.. ليكون أكثر قرباً من شفاه الرجل وهو يطلعه على السر الخطير!

لم يتحرك الضيف.. وظل فى جلسته الواثقة. ليقول:

– كنت اتحدث معك عن المقال الذى كتبته عن الوضع العربى الراهن.. وكيف أن الأمة العربية الآن فى حاجة إلى زعيم عربى فى حجم وقوة جمال عبدالناصر.

– نعم.. نعم.

– دعنى أسألك.. ماذا لو عاد جمال عبدالناصر نفسه، فى هذا الوضع وهذه الظروف.. اليس افضل من أن يأتى شخص آخر ليلعب دوره فى قيادة الأمة.

– عبدالناصر نفسه؟ كيف؟

سأله بدهشة كمن يتشكك فى قواه العقلية.

– ألم أقل لك أننى عالم متخصص فى الاستنساخ؟!

– نعم.. ولكن هل تريد أن تقول..

قاطعه الضيف بلهجة واثقة، ليقطع على الشك كل الطرق إلى رأس سامعه:

– نعم.. أريد أن أقول، ما وصل إلى رأسك الآن.. لقد نجحت أنا ومعى عدد من العلماء الأمريكان ذوى الأصول العربية فى استنساخ الزعيم جمال عبدالناصر. فى معاملنا فى أمريكا.

– هذا كلام لا يصدق.. غير معقول.. وأين هو جمال عبدالناصر الآن؟!

– إنه لا يزال فى المعمل.. على وشك الخروج منه إلى العالم.

– كيف سيخرج إلى العالم.. ومن أمريكا؟!.. هل تعرف السلطات الأمريكية ذلك؟

– طبعًا. لا أحد يعرف بالأمر حتى الآن، والقانون الأمريكى يحظر استنساخ البشر. أو إجراء التجارب العلمية عليهم.

– أنا لا أتحدث عن الوضع القانونى.. أنا أتحدث عن الوضع السياسى.. لو عرفت السلطات الأمريكية بذلك سوف تقتله قبل أن يخرج إلى النور ويثير لها المشاكل.

- ربما كان ذلك صحيحًا.

- بل هو الصحيح الوحيد..

- ربما يخاف الأمريكان من ردود الأفعال العربية والإسلامية لو قتلوه.

- أمريكا تخاف؟.. لقد اشترى الأمريكان كل شيء، وأن أحدًا لن يجرؤ على الكلام لو أنهم فعلوها. خوفا من قطع المعونات، أو فرض الحظر بقرار من مجلس الأمن، والحجة جاهزة: محاربة الإرهاب!

- كل ذلك لا يهم الآن.. فلم نناقشه قبل أن نقدم على تنفيذ الفكرة.

- فلماذا نفذتموها إذن؟

- نظرنا إليها على أنها تجربة علمية محضة.. وقلنا لأنفسنا ان استنساخ قرد أو بقرة أو نعجة لن يحقق لنا الدوى الذى نريده. لابد لنا أن نقوم بشيء غير عادى يجعلنا حديث العالم ولفترة طويلة. وحين فكرنا. لم نجد أمامنا أكثر من جمال عبدالناصر إثارة للجدل. وبالتالى جلبا للشهرة والمجد والتفرد. كذلك فإن استنساخ زعيم بحجم جمال عبدالناصر سيفتح الباب أمام شعوب العالم الثالث لتحلم بعودة زعمائها التاريخيين، أبطال التحرير.. وتعود الشعوب المغلوبة إلى الحلم بعد أن غرقت فى نوم عميق. وتركت الساحة لقوة واحدة تلعب فيها كما تريد.

- هذه فكرة رائعة.. لو تحققت فعلاً سينقلب العالم رأسًا على عقب.

– بل قل سيعتدل العالم. ويقف على قدميه بعد أن ظل يقف على رأسه طويلا.

– نعم.. نعم.. فعلاً.. صحيح. هه!

قالها وهو يحثه على الكلام الذى لاقى هوى فى نفسه، وداعب حلماً ظل يراوده.

– أنت تعرف أن تجارب الاستنساخ تتكلف أموالاً طائلة.. وقد بعنا كل ما نملك للصرف على هذه التجربة الفريدة.

يعود «الريس» إلى شكوكه من جديد.. وفى لهجة تكتنفها المسكنة. قاطعه قائلاً:

– ولكنا حزب فقير.. حزب الفقراء والمساكين.. وليس لدينا ما نقدمه لكم ثمناً للزعيم.

– لم أقصد طبعًا أن أطلب منك ثمنا لتجربتنا.. أو تعويضنا عما خسرناه فيها. استنساخ عبدالناصر بالنسبة لنا مجرد عينة لبضاعتنا.. عينة مجانية نثبت بها قدرتنا العلمية فى السوق، لا تنسى أننا نعيش فى سوق كبير اسمه أمريكا. ومن أراد بعد ذلك أن نستنسخ له أحد الموتى.. فسيدفع لنا الكثير.. هناك ملوك وأمراء.. وأثرياء، ورجال مال وأعمال كثيرون ماتوا.. ويريد ورثتهم أن يعيدوهم للحياة.. ونحن تحت الطلب، طالما كانوا قادرين على دفع الفاتورة.

– إذن لماذا لم تفكروا فى واحد من هؤلاء؟

– أنت تعرف أصحاب الثروات والأرصدة الضخمة لا يدفعون ثمنا لشىء إلا بعد أن يروه بأعينهم.. وقد أردنا كما قلت

لك أن نقول ونثبت قدرتنا على ذلك، بشخصية تاريخية وسياسية تحدث ضجة. وتثير جدلاً. مما يزيد الطلب علينا ممن يريد إعادة شخص ما إلى الحياة.. وربما دفعت لنا حكومات مبالغ طائلة لكى لا نعيد بعض الأشخاص ممن يثيرون لها المشاكل ويقفون فى طريق مصالحها!

– إنه منطق نفعى.. برجماتى.

قالها «الريس» وهو يشعر بخيبة الأمل والإحباط.

– إنه منطق السوق.. أمريكا يا سيدى.. ألم أقل لك أننا أمريكان؟!

– إذن لماذا جئتم لنا هنا؟

– قلت لك أننا أمام مشكلة.. وهى القانون الأمريكى الذى يحظر استنساخ البشر.. والذى يمنعنا من الإعلان عن التجربة فى أمريكا.

– وهل جئتم إلينا هنا لنعلن لكم عنها؟

– ليس هذا بالضبط.. لقد جئنا لتساعدونا فى حل تلك المشكلة القانونية.

– كيف؟.. هل نتوسط لكم لدى السلطات الأمريكية لتعفيكم من العقاب؟!

– ليس هذا ما قصدته. قصدت أن أقول لك استعدوا لاستقبال جمال عبدالناصر فى مصر فى أى وقت من الآن فصاعداً.. نريد أن تبشروا بعودته قريبا، مع الأخذ فى الاعتبار

سرية التجربة وخطورتها. فلا تذكروا شيئا عن هذه المحاولة لأحد.. ولا شيئًا عن مقابلتى لك.

– وماذا غير ذلك؟

– لابد أن يظهر عبدالناصر فى مناخ جاذب.. لابد وأن يظهر وسط أناس يطالبون به وينتظرونه.

– هذه بسيطة.. فالناس تنتظره فعلاً.

– إذن اتركوا الباقى لنا.. ولا شيء غير ذلك.

(٢)

طرق الأستاذ «ع» على الباب قبل أن يدخل غرفة المكتب. ليجد «الريس» يزرع الغرفة قلقاً بعكازه.. وما أن رأى الريس على هذه الحال حتى بادره سائلاً:

– خيراً.. مالك.. ماذا جرى؟

– ادخل يا «ع» وأغلق الباب وراءك.

عاد «ع» إلى الباب ليغلقه.. ثم استدار وهو لا يخفى القلق الذى دخل به.

– خير إن شاء الله.. إجلس واهدأ.

اقترب منه ليساعده على الجلوس..

– على مهلك.. تمهل.

– عارف من الذى كان عندى منذ قليل؟

– من؟

– إنه دكتور.. عالم أمريكى من أصل عربى.

– ما له؟ ماذا فعل هذا الأمريكى ليقلقك هكذا.

– إنه عالم فى الاستنساخ.. قال لى

ثم نظر إلى الباب ليتأكد أنه مغلق جيداً.. وتلفت حوله ومال بجزعه ناحية الأستاذ «ع» ليهمس فى أذنه قائلا:

– قال أنه نجح مع مجموعة من العلماء الأمريكيين من أصول عربية فى استنساخ جمال عبدالناصر.

اعتدل الأستاذ «ع» فى جلسته.. وتساءل فى سخرية:

– وهل أنت مصدق هذا التخريف؟

– ليس تخريفا.. الرجل يبدو أنه عالم فاضل، وواثق من نفسه، ولم يطلب شيئًا منا.

– إذن لابد وأن يكون مخابرات أمريكية ( C.I.A ).

– وما الذى تريده منا المخابرات الأمريكية؟

– ربما يكون مباحث أمن دولة، أو مخابرات مصرية!!

– ولماذا يلجأوا معنا إلى هذه الأساليب.. ما الذى يريدون معرفته. ولا يعرفونه عنا؟

– لا أعرف.. ولكن الموضوع لا يطمئن.. لابد أن فى الأمر شيئًا.

– كل ما نريد قوله.. نقوله فى جريدتنا ولا حاجة لأحد فى أن يدس علينا. فليس عندنا ما نخفيه.

– إننا الحزب الوحيد الذى يؤمن بالثورة طريقًا للتغيير.. كل الأحزاب الأخرى تفكر فى التغيير بالسياسة.. نحن الوحيدون الذين نفكر بطريقة ثورية. ولدينا تجربة سابقة فى الحكم أثبتت نجاحها. وتغرى بإعادة المحاولة، وكل الأحزاب الأخرى ليس لديها هذه التجربة، فلا خوف على السلطة منها.. وكل الخوف منا نحن.. ومن جماهيريتنا الطاغية!

– نعم.. هذا صحيح. ولكن..

قاطعه الأستاذ (ع) ليشبع فضوله :

– قل لى.. ماذا قال لك بالضبط. وتفصيلاً.

– سأقول لك يا سيدى.

(٣)

جلس «الريس» على المنصة وعن يمينه جلس الأستاذ «ع» وعن يساره جلس الأستاذ «م». وفى القاعة جلس بعض الحضور من الشباب مستمعين باهتمام إلى «الريس»:

- لم نات إلى هنا لنتحدث عن جمال عبدالناصر.. فقد تحدث جمال عبدالناصر عن نفسه، بالمواقف التى خاضها محليا وعربيا ودوليا، ويكفى أن ننظر حولنا الآن، لنقول ما أحوجنا له الآن أكثر من أى وقت مضى، فلو كان جمال عبدالناصر بيننا لما جرؤ أحد من العرب على الجلوس مع الإسرائيليين فى وضح النهار.. ولما وقع معهم معاهدة يسمونها معاهدة سلام.. وما هى إلا صك استسلام واعتراف بالعدو، ولو كان عبدالناصر حيا الآن لما عاد الإقطاع ورأس المال، ولما رأينا ما نراه الآن من فساد يستشرى حتى يكاد يأكل الأخضر واليابس، ولما برطعت أمريكا فى المنطقة كالثور الذى ينطح كل شىء فى طريقه، ولما استمر الحصار الأمريكى على العراق وليبيا والسودان. ولما اجتاح الروس جمهوريات إسلامية فى الشيشان وغيرها، وحدث ما حدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك.. لقد حاول عبدالكريم قاسم غزو الكويت فى مطلع الستينيات ولكن عبدالناصر أوقفه عند حده بمجرد خطاب أذاعه من القاهرة. وقد رأينا كيف فعل صدام حسين بعده.. وتدمير العراق على يد قوات التحالف الأمريكى. ثم حصار الشعب العراقى الشقيق. ولو كان عبدالناصر حيا لما حدث ما حدث فى العراق وفى الكويت، وما حدث فى لبنان حين دمرتها الحرب الأهلية فى غياب عبدالناصر الذى لم ينجح أعداء

لبنان فى حضوره فى أن يثيروا نصف الشعب اللبنانى على نصفه الآخر. لتدور حرب أهلية أعادت لبنان إلى القرون الوسطى.

ويستطرد «الريس»:

– لقد نجح أعداؤنا فيما فشلوا فيه أيام عبدالناصر، ولو كان حيًا بيننا لم تقدموا شبرًا واحدًا فى اتجاهنا. ولكن غيابه شجعهم.. فعاثوا فى أرض العرب فسادًا وتدميرًا وتخريبًا.

حقًا.. ما أحوجنا لعبدالناصر الآن.. فلو عاد لعادت إلينا النخوة والمروءة اللتان نفتقدهما الآن افتقادنا لباعثها ومفجرها جمال عبدالناصر..!

يتوقف الرجل عن الكلام وسط عاصفة من التصفيق المدوى. ما كادت تهدأ حتى وقف أحد الشبان ليقول:

– إلى متى نظل ننتظر البطل الفرد الذى يقوم بدور «المخلص».. إن شعبًا ينتظر شخصًا واحدًا ليخلصه مما يعانى.. شعب غير جدير بالحياة.. أو الاحترام، إذا لم يكن قادرًا على تخليص نفسه بنفسه وبجموعه. إن الدعوة إلى انتظار البطل الفرد. دعوة إلى التواكل والاعتماد على الغير بدلاً من الاعتماد على النفس. مع كل تقديرى لجمال عبدالناصر، ولكنى لا أنتظر جمال عبدالناصر الفرد ليخلصنى مما أنا فيه من أوضاع. بل انتظر عودة الشعب كله.. شعب عبدالناصر لروح جمال عبدالناصر، إن ما يجب أن ننتظره هو عودة الروح للشعب.. وليس عودة الروح لشخص حتى ولو كان جمال عبدالناصر.. التردى الذى نعانيه الآن لا يستطيع جمال عبدالناصر واحد أن يخلصنا منه.. ولكن

يحتاج إلى شعب كله جمال عبدالناصر..

يجلس الشاب وسط همهمات البعض.. واستحسان البعض.. ويتململ الريس في مقعده ممتعضًا.. ويحاول الرد.. ولكن الأستاذ «ع» يخطف من يده الميكروفون ليقول:

– عظيم أن نجد بيننا من يفكر بهذه الطريقة الناصرية الصحيحة. فجمال عبدالناصر هو القائل: «إن الشعب هو القائد وهو المعلم وهو البطل» لقد قال عبدالناصر ذلك ليعلى من قدر الجماهير على حساب الفرد ودوره مهما كان، حتى لو كان الفرد فى حجم جمال عبدالناصر وقوته.

يمسك «الريس» بالميكروفون فى يده.. ليقول فى نبرة يشوبها القلق:

– أننا حين ننادى بعودة عبدالناصر.. لا نريدها عودة شخص ولكنها عودة روح ومبادىء نادى بها.. ومواقف اتخذها.. وحروب خاضها ومن خلفه شعب عربى بكامله يؤيده ويؤازره.. وإذا كان الشعب العربى لا يتحرك الآن.. فذلك لأنه لا يجد من يقف أمامه قائداً.. وخلفه محركًا.. أننا نفتقد القائد والدليل.. والحيرة التي يعانى منها شعبنا العربى الآن هى حيرة من يتلفت حوله.. بحثًا عمن يقوده فى الطريق الصحيح.. طريق العزة والكرامة.

تأخذ نبرة «الريس» شكلاً خطابيًا ينتهى بالتصفيق وسط هتافات الحاضرين:

– بالروح.. بالدم نفديك يا جمال.!!

(٤)

الأستاذ (ع) يدير قرص التليفون على مكتبه وهو شارد الذهن.. لا يدرى أى رقم أدار. يرد عليه من الطرف الآخر صوت، فيقول له: أنت من؟ ثم يسأله عن رقم السيدة (ن)، ويعتذر لأنه طلب الرقم الخطأ ناسياً.

يعود ليدير القرص مرة أخرى.. فيأتيه صوت نسائى من الطرف الآخر، فيقول:

- صباح الخير يا (ن).

- صباح النور يا أستاذ (ع).

- تعالى.. أنا أريدك بسرعة.

يقف الأستاذ (ع) متوتراً، يذرع الغرفة بخطوات متوترة قلقة ينظر إلى صورة عبدالناصر المعلقة خلفه على جدار المكتب. موليا ظهره نحو الباب.

تطرق السيدة (ن) ثم تدخل. لتجد الأستاذ (ع) موليا وجه شطر الصورة. يبدو أنه لم ينتبه لدخولها. تميل السيدة (ن) بجزعها لتتصفح وجه (ع) مندهشة.

- خير يا أستاذ!

يفيق الأستاذ من شروده فجأة، ويستدير ناحيتها قائلاً:

- اجلسى يا (ن) واسمعينى جيداً.

تجلس (ن) على المقعد المواجه لمقعده، وتقول له:

- اسمعنى أنت أولاً.. ما الذى يجرى فى هذه الجريدة فى

هذه الأيام.

– خيراً.. هل حصل شيء؟

– منذ قليل دخلت مكتب «الريس» فوجدته ينظر إلى صورة عبدالناصر شارداً. حتى أنه لم ينتبه لدخولي، ويبدو أنه كان يتحدث إلى الصورة كما لو كانت شخصاً حياً ماثلاً أمامه.

– وماذا كان يقول للصورة؟!

– لم اسمعه.. فقد كان يهمهم بصوت منخفض. والآن اراك تفعل نفس الشيء. هل هناك سر بينكما وبين هذه الصورة؟!

أشار لها بيده نافياً.

– دعك من ذلك كله.. ولا تدعى حاستك الصحفية تأخذك إلى تهيؤات بعيدة.

ثم استطرد قبل أن ترد عليه:

– أريد إجراء تحقيق صحفي موسع تقومين فيه بسؤال عدد كبير من الشخصيات من مختلف التيارات والأحزاب السياسية. واستطلاع آرائهم حول عودة عبدالناصر الآن.. ماذا لو عاد عبدالناصر في ظل الظروف الراهنة.. ما هي القرارات التي يتخذها. والإجراءات التي يقوم بها للخروج من حالة التردي التي نعيشها الآن؟

تضرب السيدة «ن» قبضة يدها اليمنى في راحة يدها اليسرى في حماسة بالغة:

– عظيم يا أستاذ.. والله لقد فكرت في ذلك من تلقاء نفسي. خاصة في ذكرى ميلاده الثمانين.

تنفرج أسارير الأستاذ (ع) كمن وجد مخرجًا لورطة يشعر بها فى داخله.

– نعم.. هذه هى المناسبة.. سنجرى التحقيق بمناسبة الاحتفال الذى يقيمه الحزب فى الذكرى الثمانين لميلاد الزعيم.

– هل يمكن أن نأخذ آراء بعض المسئولين فى الحكومة أيضا.. إلى جانب المسئولين والمفكرين من التيارات السياسية الأخرى.

– لماذا لا.. نريد أن نعرف رأى الجميع بما فيهم الحكومة والحزب الحاكم.

– سوف أبدأ فوراً.. ليكون الاستطلاع جاهزًا خلال يومين على الأكثر.

– الله معك.. شدى حيلك. وأنا واثق أنك ستجرين استطلاعًا رائعًا. فأنت أقدر صحفية تستطيع عمل ذلك.

(٥)

جلس الأستاذ «هـ» على مكتبه ليتحدث فى التليفون.. بينما سمع طرقة على الباب دخلت على أثرها السيدة «ن».. أشار إليها بالجلوس على المقعد المواجه. جلست وهو يقول لمحدثه فى الطرف الآخر:

– يا أستاذ أحمد نحن حزب إسلامى.. ولسنا حزب الله.

قالها مازحًا بينما يده كانت تداعب شعر لحيته الكثيف الذى كاد يصل إلى صدره.. ثم واصل قائلاً:

– سوف نصدر بيانا ندين فيه إسرائيل على عدوانها الغادر فى جنوب لبنان. ولا نملك غير القتال بالبيانات!

ثم يسكت قليلاً.. ليضيف فى سخرية:

– نعم بيانات سريعة الطلقات.. أو عابرة للقارات ليس لدينا غير ذلك!.. والله المستعان!!

ينظر إلى السيدة «ن» قبالته ليرى وقع كلماته على وجهها.. تبتسم فى مجاملة واضحة.،. ثم يواصل منهيا حديثه:

– مع السلامة يا سيدى.. السلام ورحمة الله وبركاته.

تقف السيدة «ن» لتسلم عليه مصافحة بيدها.. فلا يمد لها يده.. وهو يقف نصف قائم ممسكًا بمسندى المقعد بكلتا يديه:

– تفضلى.. إجلسى يا أستاذة.. تفضلى.

تجلس السيدة «ن» وهى تشعر ببعض الارتباك والحرج، وتقول له:

– آسفة.. نسيت أنك تسلم.. ولا تصافح!

– نعم.. نعم. بارك الله فيك يا أستاذة.

– الحقيقة أننى جئت إليك..

يقاطعها الأستاذ «هـ» فى لهجة حازمة:

– أهلاً بك.. فهمت من حديثك معى فى التليفون أمس أنك تريدين السؤال عن موقفنا من عبدالناصر فيما لو عاد إلى الحياة الآن.

– نعم.. أنتم أحد التيارات السياسية على الساحة ويهمنا أن نعرف رأيكم فى هذا الموضوع.

– لماذا ننكأ الجراح القديمة يا أستاذة «ن».. أنت تعلمين ما حدث لنا مع عبدالناصر. ولا نريد أن نتذكر ما أنسته لنا السنين.

– هذا كان فى الماضى يا مولانا.. أما الآن فاعتقد أن ظروفًا كثيرة قد تغيرت.. فلا الأعداء يظلون أعداء.. ولا الأصدقاء يظلون أصدقاء. خاصة فى مجال السياسة.

– إلا عبدالناصر..!

قالها بلهجة قاطعة. رافعًا يده اليمنى كمن يؤدى القسم أو يحلف اليمين!

– واضح أنكم لازلتم على رأيكم فيه.. ألا تعتقد أنه لو عاد قد يغير موقفه منكم ويحالفكم على أعدائكم المشتركين؟

– لو عاد عبدالناصر يا أختاه سيضربنا قبل أن يضرب أى أحد من أعدائه التقليديين.. على الأقل لكى يبعث برسالة إلى أمريكا يكتبها بدمائنا، يؤكد فيها أنه ضد الإرهاب، فترضى عنه

وتساعده على تثبيت دعائم نظامه!

- لقد تحالف معكم فى بداية الثورة وهو لا يزال ضعيفًا وغير معروف وفى أمس الحاجة لتثبيت دعائم نظامه الجديد فى مواجهة الاحتلال الإنجليزى. وغيره من الأعداء الذين كانوا أقرب إليه مما هم الآن.. ولم يعاديكم إلا بعد أن بدأتم أنتم بالعداء. وحاولتم اغتياله شخصيًا بعد ساعات فقط من توقيعه اتفاقية الجلاء مع الإنجليز.. وكأنكم كنتم تعاقبونه على نجاحه فى إنهاء الاحتلال الإنجليزى لمصر..!

- ألم أقل لك أنك تنكئين جراحًا قديمة.. ومع ذلك لقد كانت تمثيلية من سيناريو وإخراج وتمثيل جمال عبدالناصر!

- ولماذا يلجأ عبدالناصر لمثل هذه التمثيلية؟!

- ليتخلص منا.. ومن شعبيتنا فى الشارع وهو يريد أن يكون الزعيم بلا منافس!

- لو كانت لكم شعبية فى الشارع كما تقول لزادها اغتيالكم له.. لو كانت الشعبية لكم وليست له.. أما إذا كانت الشعبية له وليست لكم فإن اغتيالكم له سيزيد من كراهية الناس لكم لأنكم اغتلتم رجلاً له شعبية الشارع وحب الجماهير. فكيف يحبك عبدالناصر تمثيلية يزيد بها من شعبيتكم. هل كان عبدالناصر يضحى بنفسه ليحقق لكم النجاح فى الشارع؟!

- لا تجادلنى يا أستاذة «ن» فى مسائل لم تعيشيها.. الإسلام ينهانا عن المجادلة لأنها تزيد الفرقة.

- الإسلام يأمرنا بالمجادلة بالتى هى أحسنْ.. وليس هناك ما

هو أحسن من المجادلة بالعقل والمنطق.. وليس بالمدفع والخنجر.

يبدو أنه شعر بما ترمى إليه من تهكم وسخرية.. فقال على الفور:

- كيف يعود عبدالناصر الآن بعد ثلاثين عامًا من موته؟

- هل سمعت عن الاستنساخ يا مولانا؟

- هذا كفر.. والعياذ بالله.

- هذا كفر لو كان خلقًا.. أو ادعاء بإمكانية الخلق.. وإعادة الحياة ليست خلقًا جديداً.

- الله هو الذى يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير.

- إنها عملية إحياء بعون الله وإرادته.

- عمومًا.. أقول لك لو عاد عبدالناصر، فسوف تعود السجون والمعتقلات. والضرب والتعذيب.

- وهل انتهى ذلك بموت عبدالناصر؟!

- لازلنا فى المحنة.

- لأنكم لازلتم على ما أنتم عليه..!

يقف الأستاذ (هـ) منهيا حديثه قائلاً..

- أشكرك على الزيارة.. ولو أنك لم تشربى شيئًا.

تقف السيدة (ن) وهى تقول فى تهكم واضح..

- أشكرك.. لقد شربت فعلاً.. شربت كثيراً!!

ثم تستدرك مخففة من لهجتها.. شربت كلامًا جميلاً وآراء سكرها زيادة!

(٦)

تجلس السيدة « ن » إلى مكتبها.. وتدير قرص التليفون ثم تسأل في ترقب:

– سيادة الوزير..؟

تسكت قليلاً.. ثم تبتسم قائلة:

– أنا « ن – ف » من جريدة العرب.

يأتي صوته عبر الهاتف قائلاً:

– أهلاً بالمشاكسة.. والعناد.. صباح العفرتة والرءوس الناشفة!

تضحك السيدة « ن » وهي تقول في خجل:

– يا فندم العفو.. أشكرك على هذه المجاملة.. لو كنت تقصدها مجاملة.. أما لو كنت تقصدها شتيمة. فأشكرك على أحسن شتيمة يمكن أن يتفوه بها مسئول في الحكومة!!

يضحك الوزير. مائلا بجذعه إلى الخلف وهو يقول:

– نحن لا نقدر على الشتيمة.. نحن نُشتم ولا نَشتم خاصة في جريدتكم!

– يا أفندم العفو.. نحن ننقد فقط.. أما الشتيمة فهي في جرايد الحكومة..!

– على أية حال.. هذا صباح جميل أن أسمع صوتك فيه.. وتحت أمرك.

– نحن نسأل عن موقفكم لو عاد جمال عبدالناصر الآن؟

- أهلاً وسهلاً بجمال عبدالناصر فى وطنه الثانى مصر..!!
يضحك كما لو كان قد أطلقها نكتة!

- يا أفندم مصر هى وطنه الأول ووطنه الأخير..

- طبعًا.. طبعًا ولكنى قصدت أن عبدالناصر الآن ميت..
أى أنه مواطن من مواطنى الآخرة.. مواطنى الجنة يعنى!!

- أنا أسأل.. لو عاد عبدالناصر.

يقاطعها قائلاً فى لهجة جادة:

- لو عاد عبدالناصر لفرح بكل الإنجازات التى حدثت وتحدث الآن.. سيفرح بمترو الأنفاق والمدن الصناعية الجديدة ومشروعات الكهرباء الكثيرة.. والمدارس التى وصلنا بها إلى أصغر قرية. يا ليته يعود ليشاركنا الفرحة بكل تلك الإنجازات التى تحققت على يدى ز...

تقاطعه قائلة:

- هل ترحبون بعودة عبدالناصر؟

- وهل نملك إلا ذلك.. عبدالناصر زعيمنا التاريخى.. إذا سمحتم لنا طبعًا فى حزبكم أن نعتبره كذلك!!

يقولها مازحًا.. فترد عليه «ن» بلهجة جادة:

- عبدالناصر زعيم كل المصريين والعرب وهو ليس زعيمًا لحزب أو جماعة أو طائفة. هو ملك للجميع.

- أهلاً بك.. وأهلاً بعبدالناصر.. يشرّف فى أى وقت!!

(٧)

يجلس «ف» بك على مكتبه، يتمايل فى مقعده مواجهًا للسيدة «ن» التى مدت يدها بجهاز التسجيل أمامه.. لتسمع كلماته التى تخرج من بين سيجار كبير وضعه بين أسنانه:

– لو عاد عبدالناصر الآن. لهربت رءوس الأموال إلى الخارج. وأغلقت المصانع.. وتوقف المستثمرون عن الاستثمار فى مصر.. وهبط سعر الجنيه إلى أدنى معدل له طوال تاريخه.. هذا بالإضافة إلى أن الدول الكبرى وخاصة أمريكا ستوقف المعونات التى تمنحها لنا سنويًا. وهى مهمة كما تعلمين فى تخفيض العجز فى الميزان التجارى المصرى.. وكل الدول ستوقف تعاملاتها الاقتصادية مع مصر.

أما على المستوى السياسى الداخلى.. فكثير من الأحزاب الحالية ستنزل تحت الأرض لتمارس العمل السرى من جديد بعد فترة قضتها فى العلن. وسوف تفتح المعتقلات والسجون لتستقبل الخصوم والأعداء للزعيم. ونعود إلى قصة الرأى الواحد والحزب الواحد.. والصحفى الأوحد.. بعد تجربة التعددية التى استمرت أكثر من ربع قرن فى مصر حتى الآن.

– ألا تعتقد أن الظروف والمتغيرات الدولية ستؤثر على عبدالناصر حين يعود.. فيوافق على التعددية والرأسمالية الوطنية غير المستغلة..

– هذا شخص آخر غير عبدالناصر الذى نعرفه.. عبدالناصر الذى نعرفه. نعرفه مستبدًا وديكتاتورًا ومنفردًا ولا يسمح للرأى

الآخر.. أو أى رأى يخالف رأيه.

– لقد اعتمد عبدالناصر تجربة الحزب الواحد.. فى وقت كان فيه الحزب الواحد.. أو الحزب الثورى. هو التجربة التى تعتمدها دول كثيرة فى العالم خرجت لتوها من الاحتلال والسيطرة الأجنبية. وكانت ظروفها المحلية لا تحتمل الخلاف والجدل لأنها كانت تريد الوحدة الوطنية للحاق بالقطار الذى فاتها وتعويض ما خسرته بالاحتلال.

– اسمحى لى.. هذه مبررات مرفوضة فالرأى الواحد.. والحزب الواحد.. والزعيم الواحد. والجورنال الواحد كلها مبررات للاستبداد والتحكم والانفراد بالسلطة. وهو الطعم الذى يحاول المستبدون والدكتاتوريون فى العالم أن يصيدوا به تأييد الشعوب لحكم مستبد وحاكم ديكتاتور.

– عبدالناصر كان يفكر فى إلغاء الحزب الواحد فى آخر أيامه والعودة إلى نظام التعددية لولا أن عاجله الموت.. وفى كل اجتماعاته ومناقشاته كان يسمح بالمعارضة والرأى الآخر. ولم يكن يتبرم منها أو يغضب.

– كل الذين ماتوا على الدكتاتورية يقولون كنا سنتوب لو أن الله مد فى أعمارنا!!

– وهل قالوا لك ذلك. بعد أن ماتوا؟

– وهل قال لك عبدالناصر ذلك بعد أن مات؟

– قاله قبل أن يموت وقد شهد عليه كثيرون من الأحياء.

– أنت تسألين ماذا لو عاد عبدالناصر الآن.. ولكنى

اسمعك تتحدثين عن عودة شخص آخر غير عبدالناصر الذى نعرفه.

– ذلك لأن الظروف أصبحت مختلفة.. ولابد أن يعود إليها مختلفاً. متغيراً بتغير الظروف. لقد كان عبدالناصر مرناً.. ومتجاوباً مع الظروف.. ورفض أن يأخذ بنظرية واحدة. لأن فى النظرية جمود وتحجر. واعتمد على التجربة والخطأ لأنه المنهج الذى يسمح له بالإصلاح والتراجع.. والتصحيح.

– إذن فليعد عبدالناصر هذا.. وسنضع أيدينا فى يديه إذا قبل النقد والرأى الآخر.. ولم يفتح أبواب السجون والمعتقلات. سنضع أيدينا فى يديه لأننا نعرف أننا نضعها فى يدى شخص آخر غير عبدالناصر «بتاعكم»!!

(٨)

فى مكتبه جلس « الريس » يتصفح جريدة من بين الجرائد المكومة على مكتبه.. وفجأة يقف كالملدوغ وهو يقول:

- مستحيل.. غير ممكن.

يفتح باب مكتبه. ويقول لسكرتيرته فى هلع:

- نادى الأستاذ « ع » بسرعة..!

ثم يدخل مرة أخرى ليجلس على مكتبه.. ويمسك بالتليفون ليدير القرص طالبًا:

- الأستاذ « ع ».. تعال.. أريدك بسرعة!

يقف ممسكًا بالجريدة فى يده وهو يقول متسائلاً فى دهشة:

- عودة عبدالناصر؟ هل يمكن أن يكونوا قد فعلوها حقًا؟.. ولماذا ظهر فى كوبا.. لماذا لم يحضر إلى هنا؟!

يدخل الأستاذ « ع » فيعاجله « الريس » وهو يمد الجريدة حتى يكاد يصل بها إلى وجهه:

- هل قرأت هذا الخبر؟

- كنت أقرأه حين طلبتنى.. وقد اتصل بى مندوب صحيفة « خبر اليوم » ليسألنى عن رأيى فى عودة عبدالناصر وظهوره فجأة فى كوبا. قبالة السواحل الأمريكية.

- هل هرب منهم.. أم هم الذين هربوه إلى كوبا.. ولماذا لم يحضر إلى مصر؟

- لا أعرف ولكنك تعرف أن كوبا دولة اشتراكية لازالت

شيوعية.. وعلى عداء مع أمريكا.. وربما ذهب إليها ليكون فى مأمن من أيدى الأمريكان.. لأن كاسترو صديق عبدالناصر وتلميذه. وكوبا هى أقرب دولة لأمريكا. وسواحلها مفتوحة.

- هل يكون قد طلب اللجوء السياسى لكوبا؟!

- الخبر لا يقول ذلك.. ولكنه يقول أن سكان إحدى القرى الكوبية المطلة على الساحل المواجه لأمريكا.. رأوا رجلاً يشبه عبدالناصر، فأستضافوه عندهم حتى الصباح. ولكنه اختفى بمجرد أن طلع النهار.. فأبلغوا السلطات الكوبية التى جدت فى البحث عنه.. وإن كاسترو قد أهتم بنفسه بالعثور عليه. ولكن أحداً لم يعثر عليه.. وكأنه كان حلماً من أحلام الليل.

- أغلب الظن أنه هرب من العلماء الذين استنسخوه لأنه شك فى نواياهم. وهرب إلى كوبا لأنها كما قلت أنت أقرب بلد لأمريكا. وهى اشتراكية. ومعادية لأمريكا.. ورئيسها صديقه وتلميذه. ولكن اختيار كوبا بالذات يعنى أنه سيطلب اللجوء السياسى فيها ولن يحضر لمصر.

- إن مثل عبدالناصر لا يقبل باللجوء إلى أية دولة غير مصر. حتى لو كانت جنة. الا تتذكر أنه قال ذات مرة أنه يقبل الموت فى مصر على أن يكون لاجئاً سياسياً فى أى بلد غيرها.

- هذا صحيح.. ولكن معنى ذلك أنه سيحاول الهرب من كوبا إلى مصر. ولكن لماذا لم يهرب من أمريكا نفسها.. لماذا كوبا؟

- أنت تعرف أن المخابرات الأمريكية قوية، وتستطيع

التعرف عليه بسهولة، كما أنه بدون جواز سفر أو تأشيرة دخول إلى أمريكا. ويمكن القبض عليه فى أية لحظة. أما فى كوبا فإن المسائل أكثر سهولة. ويمكن شراء جواز سفر بأى ثمن.. فهى دولة فقيرة وجهازها الأمنى ضعيف. وليس فى قوة المخابرات الأمريكية.

- ولكن لماذا تركه هؤلاء هكذا ليواجه مصيره وحيداً.. هل خافوا من العقاب حسب القانون الأمريكى بحظر استنساخ البشر، فتركوه. ليعلنوا بعد ذلك أنهم أصحاب التجربة. بعد أن يكون قد انتهى خطره. فلا يكون للعامل السياسى تأثير فى عقابهم المحتمل؟

- ربما.. وربما هرب بعد أن عرف نواياهم فى استغلاله.. وربما اكتشف بذكائه أنهم عملاء للمخابرات الأمريكية. أو ربما شك فى ذلك مجرد شك جعله يهرب حتى لا يقع فى يد الأمريكان ليستثمروه سياسياً على أى نحو. أو يساوموا به للحصول على موقف مؤيد لمصالحهم. أو يستغلوه كورقة ضغط على القوى الثورية العربية.!!

- على أية حال.. فإن عدم لجوئه لكاسترو حتى الآن يعنى أنه لا يفكر فى البقاء فى كوبا، وأنه سيحضر إلى مصر فى أى وقت.

(٩)

تدخل السيدة «ن» إلى مكتب الريس، وهى تمسك فى يدها شريطًا من أوراق التيكرز:

– صباح الخير يا «ريس».

– صباح النور يا «نون». ماذا هناك.. هل من جديد؟

– كل وكالات الأنباء مهتمة بخبر ظهور عبدالناصر فى كوبا. وكل الصحف الأمريكية ارسلت مندوبين عنها ليسألوا أهل القرية الكوبية عن حقيقة الشخص الذى رأوه.

– إنهم من رجال المخابرات الأمريكية يذهبون عادة فى مثل هذه المسائل فى صورة صحفيين.

– بالتأكيد.. لقد أصبحت القرية الكوبية تعج بالصحفيين من كل صنف ولون. وكل سكان القرية يؤكدون أن الرجل الذى رأوه هو عبدالناصر. وقد حاول هو نفى ذلك لهم ولكن العجائز من أهل القرية كانوا يحتفظون بصوره عندهم.. أكدوا إنه عبدالناصر حين وضعوا الصور بجوار وجهه ليقارنوا بينهما. وأنه لم ينكر الشبه الكبير بينه وبين صاحب الصورة. وقال لهم انه مصرى.. ومن أسرة عبدالناصر ولكنه ليس هو. وقد هرب من امريكا لأن المتطرفين اليهود كانوا يتعقبونه لقتله انتقامًا من عبدالناصر.. وأنه كان يتحدث معهم بالإنجليزية.

وحين سألوه لماذا لا يذهب إلى كاسترو ليحميه من الأمريكان واليهود. أكد لهم أنه مواطن عادى ولا يريد أن يزيد كاسترو متاعب فوق متاعبه وأنه ينوى السفر إلى مصر عن طريق

السفارة المصرية فى كوبا.

- وهل ذهب فعلاً إلى السفارة المصرية فى كوبا؟

- لقد اتصلت إحدى الصحف الأمريكية بالسفير المصرى فى كوبا.. فنفى أن يكون عبدالناصر قد لجأ إلى السفارة المصرية. بل نفى أن يكون الخبر صحيحاً من أصله.. وأنها مجرد تهيؤات.

- إذن كيف سيحضر إلى مصر؟!

قالها كمن يحدث نفسه.. ولكن السيدة «نون» سمعته وهو يقولها فى لهفة وخوف:

- من الذى سيحضر إلى مصر يا أستاذ؟.. هل أنت مصدق لمثل هذا الكلام؟

- لقد قلت أنت بنفسك أنه مجرد كلام.. فكيف أصدق كلاماً ولم أر شيئاً بعينى لأصدقه أو أكذبه؟!!

- لابد وأن يكون فى الأمر شيئاً غير مفهوم.. لماذا هذا الخبر الآن.. ولماذا كل هذا الاهتمام الذى تبديه السلطات والصحف الأمريكية. لابد أن فى الأمر شيئاً غير مفهوم.. هل تعتقد أن المسألة لها علاقة بمباحثات السلام بين العرب وإسرائيل؟

- إن ظهور عبدالناصر الآن سيفسد كل شىء يتعلق بالتسوية فى الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل، وليس من مصلحة أمريكا وإسرائيل أن يظهر عبدالناصر الآن قبل أن يرتبط العرب وإسرائيل بمعاهدات سلام. كما أن ظهور عبدالناصر سيقوى الموقف التفاوضى العربى ويضعف الموقف الإسرائيلى. هذا إذا استمرت عملية التفاوض ولم يتراجع العرب عنها خوفاً من

عبدالناصر.. أو انتظاراً لما سوف يفعله أو يشير به.

– أنت تتحدث كما لو كان الخبر صحيحاً.. هل تخبىء عني شيئاً؟!

– أنا معك الآن.. ولم أسافر إلى أمريكا.. ولم أر عبدالناصر في كوبا. ولم يتصل بي ليقول انه عاد.. كل ما في الأمر أنني اشرح لك الموقف العربي فيما لو عاد الآن.. الست أنت صاحبة الموضوع؟ الم تسألي زعماء الأحزاب عن موقفهم لو عاد عبدالناصر.. وأنا كرئيس للحزب اجيب عن سؤالك، ليس إلا.!

– تعرف يا أستاذ.. أنني فعلاً أؤمن بعودته وحاجتنا له الآن.. مجرد خبر عن عودته قلب الدنيا رأساً على عقب.. فما بالك لو عاد فعلاً.. ساكون أنا أول صحفية في العالم تتنبأ بعودته، وتسأل الناس عن موقفهم حين يعود.. وحين يعود فعلا.. أقصد لو عاد فعلا لكانت الإجابة أكثر واقعية.. ليجيب هو بنفسه عن السؤال الذى سألته للجميع.. ماذا لو عاد عبدالناصر الآن؟!

– هل تعتقدين أن اجابته ستكون مختلفة عن إجابات الآخرين؟

– بكل تأكيد.. لأنه مختلف عن كل الآخرين.. أنه ليس مثل الآخرين، وليس الآخرون مثله. إنه زعيم «كريزمة» وليس مجرد رئيس حزب أو جماعة.

– هذا صحيح.. ولكنه لو عاد سنصدر قراراً بحل الحزب. لأن عبدالناصر اصبح بيننا ولا حاجة لنا بالدعوة إلى مبادئه أو

العودة لسياسته، سيتكفل هو بكل شيء. هو وحده الحزب، وأكبر من كل حزب.

– وهل ستكون سعيداً بذلك!

– بكل تأكيد سأكون سعيداً.

– بعودته.. أم بحل الحزب؟!

– بعودته طبعاً.. ثم يستدرك.. وبحل الحزب على يديه.

(١٠)

تجلس السيدة «ن» أمام التليفزيون لتشاهد برنامجًا فى إحدى القنوات الفضائية العربية، تسأل فيه المذيعة بعض المواطنين فى الشارع عن رأيهم فى الخبر الذى طيرته وكالات الأنباء العالمية عن ظهور عبدالناصر فى كوبا.. واحتمال عودته إلى مصر فى أى وقت:

أحد المواطنين يقول:

– ليته يعود الآن ليخلصنا من أولاد «...» والنهب والنصب..!

ومواطن آخر يضيف:

– كل ما حدث لنا فى الربع قرن الأخير بسبب غيابه.. نحن نريده الآن ليعوضنا غيابه طوال تلك السنوات..!

ومواطن ثالث:

– لم يعد لنا كرامة.. ولا أمل من بعده.. نريده ليسترد لنا كرامتنا الممتهنة، وعزتنا المنتهكة!

– مواطن رابع:

– رزق الله على تلك الأيام.. أيام أبوخالد لا تعوض لو كان صحيح أنه عاد.. لكان معنى ذلك عودة العزة والكرامة لنا كعرب.

تدخل الأم بكوب من الشاى.. وهى تنظر إلى الشاشة وتقول لابنتها السيدة «ن»:

– الله يرحم أيامك يا أبوخالد.. ويرحمنا من بعدك ترد الابنة ولا تزال عيناها معلقة باهتمام إلى شاشة التليفزيون تتابع المتحدثين فيها:

– يقولون أنه عاد يا أمى.. هل تصدقين؟

– ليته يعود يا ابنتى.. كل شيء سيعود رخيصا كما كان يا ابنتى.. حين مات عبدالناصر كان كيلو اللحم بخمسين قرشا فقط.. انظرى الآن كم أصبح سعره.

– المسألة ليست رخص اللحم وغلوه يا أمى.. المسألة رخصنا نحن وغلونا.

هنا تسأل المذيعة أحد المشاهدين فيقول انه مصرى وجاء إلى هنا للعمل:

– أنا سعيد جداً بعودة عبدالناصر.. وأتمنى أن يكون هو عبدالناصر بحق.

تسأله المذيعة:

– ولماذا تتمنى ذلك؟

– أقول لك بصراحة ورزقى على الله.. كان المصريون غالين جداً لدى العرب.. الآن أصبح المواطن المصرى هو أرخص بنى آدم هنا.. وفى أى مكان يذهب إليه.. عبدالناصر كان رافع سعرنا فى أى مكان نذهب إليه!

يأتى مواطن عربى آخر ليضيف:

– كان المواطن العربى غالى السعر فى أوروبا وفى أى مكان يذهب إليه.. كنا نقول بكل فخر أننا عرب، فكانوا يحترموننا فى

الجوازات والمطارات. أما الآن فينظرون إلينا على أننا جنس آخر.. كنا نقول أننا من بلد عبدالناصر رغم أننا لم نكن مصريين.. الآن المصريون لا يقولون أنهم مصريون.. ولا العربى يقول أنه عربى.

يرن جرس الهاتف.. وتذهب الأم لترد:

- نعم موجودة.

تحمل الهاتف إلى السيدة (ن) وهى تقول لها الأستاذ (ع) على الخط.

تتناول السيدة (ن) السماعة:

- نعم أشاهده الآن.. معه منذ أن بدأ.. شيء رائع أكاد أبكى من مشاعر الناس.. هل سمعت المواطن المصرى ماذا قال؟.. شيء مثير.. نعم.. نعم. ولكن الغريب أن يأتى البرنامج التليفزيونى بعد الاستطلاع الذى نشرته أنا عن نفس الموضوع.. هل هى مجرد مصادفة؟.. نعم.. ولكن الأغرب أن تنشر وكالات الأنباء الخبر عن عودته فعلاً بعد يومين فقط من نشر موضوع رجوعه في الجريدة هل هذه أيضًا مصادفة.. أشعر أن فى الأمر شيئًا مدبراً.. نعم.. أريد أن أراك غداً فى المكتب. مع السلامة.

تتجه إليها أمها بالسؤال فى دهشة!

- هذا البرنامج نقلوا فكرته من موضوعك الذى نشرته بالجريدة.. لماذا لا تتصلى بهم لتقولى لهم ذلك.

- لا.. ليس كذلك.. فقد كان سؤالى للناس عن عودة عبدالناصر سؤالاً افتراضيا.. بعيد الاحتمال.. أما الآن فقد أصبح السؤال واقعيا أكثر.. بعد أن نشرت وكالات الأنباء أنه عاد فعلا

واختفى فى كوبا.. وربما يظهر فى مصر فى أى وقت.

– يا ابنتى.. الميت لا يعود ابداً. هذه مجرد تهيؤات وأحلام..

– لا يا أمى.. أشعر أن المسألة هذه المرة أكبر من كل التهيؤات والأحلام.

– طوال عمرك وانت تحبين عبدالناصر.. كنا نسألك وانت صغيرة. تتزوجين من؟ فتقولين سأتزوج عبدالناصر.. وحين كنا نقول لك أنه متزوج.. كنت تقولين سأتزوج بابا.

– رحم الله الأثنين.. قالتها فى تنهيدة بينما عيناها شاردتان فى اللانهائية.

(١١)

تجلس «ن» قبالة «ع» وعن يمينهما صورة كبيرة لجمال عبدالناصر وضعت على الحائط.. قالت «ن»:

– لم أكن أتصور أن تحقيقًا أجريته في الجريدة عن عودة عبدالناصر سيثير كل ذلك.. وكالات الأنباء تتحدث عن عودته فعلاً وظهوره في كوبا.. والقنوات الفضائية العربية تسأل الجماهير في الشارع نفس السؤال.. والصحفيون من مختلف بلاد العالم يذهبون إلى كوبا بحثا عن حقيقة الخبر. والناس في كل مكان لا تتحدث إلا عن هذا الموضوع.

– وهل تتصورين أن كل ذلك كرد فعل لموضوعك الذى نشر بالجريدة؟

– إذن بماذا تفسر ما حدث بعد نشره بيومين فقط؟

– المسألة مجرد صدفة..

– صدفة؟.. كيف؟

– هل تعتقدين أن سكان القرية الكوبية قد قرأوا موضوعك فتخيلوه واقعًا أمامهم؟!

– إذن هناك سر وراء الموضوع.. أنت الذى اقترحته علىّ.. وبعد نشره حدث ما حدث.. هل كنت تعرف شيئًا وتخبئه عنى؟

يتردد الأستاذ «ع» كمن وقع فى ورطة..

– أخبىء شيئًا؟.. لا طبعًا.. المسألة كما قلت لك مجرد

صدفة.. لعب الحظ فيها دوراً. وهذا يحدث كثيراً فى عالم الصحافة.

– لقد أعلنت إسرائيل تأجيل جلسة المفاوضات القادمة. وأن وفدها لن يذهب مرة أخرى إلى واشنطن فى الموعد المحدد.

– لم يكن موضوع ظهور عبدالناصر هو السبب. فقد قالوا أن ذلك بسبب صلابة رأس ياسر عرفات وكذلك عدم رد السوريين على مذكرة التفاهم الأمريكية. رداً إيجابياً.

– هذا هو السبب الظاهر.. أنت تعرف أن اليهود يظهرون سبباً ليخفوا به آخر. هذه هى عادتهم. وأعتقد أنهم سيؤجلون المفاوضات حتى يتأكدوا من حقيقة الخبر الذى نشرته الصحف الأمريكية عن ظهور عبدالناصر.

– بالعكس أن ظهور عبدالناصر سيجعل الإسرائيليين يعجلون بالوصول إلى اتفاق سلام مع العرب ليقطعوا خط الرجعة على عبدالناصر بعد أن يكبلوا العرب باتفاقيات سلام ملزمة لأى حاكم ثورى قد يتولى السلطة فيما بعد.

– هل تعتقد أن الأمريكان اخترعوا قصة عبدالناصر هذه ليسوقوا الإسرائيليين إلى حظيرة السلام بسرعة تحت تأثير الخوف من عودة عبدالناصر أو من يشبهه خاصة وأن هذا الجيل من الحكام العرب يتسم بالاعتدال والتفاهم ويميل إلى المسالمة.. والخوف أن يأتى جيل جديد من الحكام على العكس من ذلك. أكثر تشدداً وتمسكاً بالحل العسكرى.

– ربما.. ولكن ظهور عبدالناصر أو خوف الإسرائيليين من

عبدالناصر جديد سيجعلهم يغالون فى شروط السلام ويطالبون بضمانات أكثر.. وهو ما يزيد الأمور تعقيداً على تعقيد.. فيرفض العرب. وتنتهى المسألة.

– وهذا هو المطلوب لإسرائيل فى كل الأحوال.. إنها لا تريد السلام، وتريد رفضاً عربياً لشروطها تستند إليه فى تراجعها عنه.. وهكذا يبدو العرب فى نظر العالم أنهم هم الذين يرفضون السلام الذى تسعى إليه إسرائيل فلا تجده.. والعرب لا يلبون رغبتها فى السلام.

– وهكذا.. ووفقًا لمنطق المؤامرة لدى الأخوة إياهم.. يمكن القول أن عودة عبدالناصر فكرة إسرائيلية فى الأساس.

– ربما كان ذلك صحيحاً.

– ولكنك منذ قليل قلت أنها فكرة أمريكية لحث الإسرائيليين على الإسراع فى عملية السلام.. والآن تقولين إنها فكرة إسرائيلية للرجوع عن عملية السلام.. ألا ترين أن هناك تناقضاً بين الفكرتين.

– أرى أن الأيام القادمة كفيلة بحل اللغز.. فإذا تراجعت إسرائيل عن السلام كانت الفكرة إسرائيلية.. وإذا سارعت فيها كانت الفكرة أمريكية.

– ولكن ما هو موقفنا نحن من الفكرتين؟

– نحن يا أستاذ الطرف الغائب من المعادلة..!

– والله معك حق..!

(١٢)

يجلس الأستاذ «ع» فى مكتبه يطالع بعض الأوراق حين تدخل عليه السيدة «ن» فى عجلة:

– هل سمعت آخر الأخبار؟

– ماذا هناك؟

– أذاعت محطة C.N.N الأمريكية منذ قليل أن أحد الأشخاص اتصل بهم أمس وادعى أنه عالم أمريكى متخصص فى الاستنساخ والهندسة الوراثية. وأنه نجح مع بعض زملائه من العلماء الأمريكيين فى استنساخ الزعيم المصرى جمال عبدالناصر. وأنه نجح فى الهروب منهم خوفاً من تسليمه للسلطات الأمريكية. ومن المرجح كما يقول هذا العالم أن يكون هو نفس الشخص الذى ظهر فى كوبا بعد ذلك.. وأضافت المحطة الأمريكية أن وزارة الخارجية الأمريكية تقدمت بطلب إلى السلطات الكوبية بالتحفظ على الشخص الذى قيل أنه جمال عبدالناصر وتسليمه للسلطات الأمريكية لتقديمه إلى المحاكمة بتهمة انتهاك القوانين الأمريكية وخروجه من أمريكا بدون تأشيرة. واقامته فى الولايات المتحدة بدون سند قانونى. فضلاً عن مشاركته فى خرق القانون الأمريكى الذى يحظر استنساخ البشر أو إجراء التجارب العلمية عليهم.. وقد حملت وزارة الخارجية الأمريكية السلطات الكوبية المسئولية كاملة عما سيترتب على بقاء الزعيم المصرى فى كوبا أو خروجه منها.

– إذن أمريكا متأكدة الآن أنه جمال عبدالناصر فعلاً.

– والأكثر من ذلك أن المحطة الأمريكية استضافت بعض العلماء الأمريكيين لتسألهم عن طبيعة الأشخاص المستنسخين وما إذا كانوا يتمتعون بنفس الصفات التى كان يتمتع بها الشخص الأصلى. فأجمعوا على أن الشخص المستنسخ سيكون غالبًا غير ناضج وجدانيًا وشعوريًا. فضلاً عن احساسه بالعزلة والنفور وعدم التكيف.. وشعوره بالخوف والحذر.

– إذن لقد بدأوا الحرب على عبدالناصر حتى قبل أن يتأكدوا ما إذا كان الخبر صحيحًا أولاً.. أنهم يحاولون تشويهه، وتلطيخ صورته كما حاولوا معه فى السابق.

– بالضبط.. كما يحاولون التحذير من التعامل معه على أنه إنسان غير جدير بالثقة فيه باعتباره شخصًا مصطنعًا غير كامل الأهلية والنضج.

– على أية حال هذا هو المتوقع من أمريكا بالضبط.

– الغريب والمدهش أن إسرائيل هى الأخرى دخلت الساحة على الفور. وحملت أمريكا مسئولية ظهوره.. وتسليمه لها لتقديمه إلى المحاكمة بتهمة ارتكاب جرائم حرب ضد اليهود!

– نعم.. عبدالناصر هو الذى قتل الأسرى للمصريين فى حرب ٥٦، ٦٧.. وهو الذى ضرب المدنيين المصريين بالنابالم وبكل الأسلحة المحرمة دوليًا. وهو الذى ضرب أطفال بحر البقر وعمال ابوزعبل..!

– صحيح اللى اختشوا.. ماتوا!!

(١٣)

في صالة التحرير بجريدة «خبر اليوم» أحد المحررين يمسك بالهاتف في يده.. ويشير بالأخرى لبعض زملائه أن يخفضوا أصواتهم ليسمع صوت محدثه الذى يبدو أنه يأتيه من مكان بعيد:

- نعم يا أحمد.. أنا لا أسمعك.. هه.. عبدالناصر.. جمال عبدالناصر.. نعم.. نعم.. أنت متأكد؟ مدير الأمن بنفسه.. نعم..

يصمت قليلا، لينصت فى اهتمام شديد ثم يقول:

- تابع الخبر وأنا معك.. سأوقف الطبع حتى تأتيني بتفصيلات أخرى.. مع السلامة..

يتجمع حوله الزملاء حين سماعهم لاسم جمال عبدالناصر.. ويغرق المكان فى صمت عميق.. ويحاول كل منهم أن يقترب بأذنيه إلى السماعة، لعله يلتقط بعض ما يقال.. وما أن يضع «محمود» السماعة من يده حتى يسارع الجميع فى سؤاله والاستفسار منه:

- ماذا هناك؟

- جمال عبدالناصر ظهر فى مصر؟

- من الذى كان يحدثك..

يحاول محمود أن يسكتهم بإشارة من يده ليشرح لهم الأمر وهو فى عجلة من أمره..

– مراسلنا فى أسيوط يقول ان جمال عبدالناصر ظهر أمس وصلى الجمعة مع الناس فى مسجد الشيخ الأسيوطى.. وما كادت الصلاة تنتهى حتى اختفى ولم يظهر له اى اثر.. وحين وصل الخبر إلى مديرية الأمن اتصلوا بوزير الداخلية الذى أمر بتطويق قريته.. وتفتيش الخارجين منها والداخلين إليها وسؤال اقاربه عن حقيقة الأمر.

– لابد وأنها تهيؤات.. أو ربما يكون أحد اقاربه قريب الشبه منه.

قالها أحد الصحفيين.. غير مصدق.. وقال زميل آخر:

– إذا كان هو جمال عبدالناصر فعلاً.. فاين ذهب، وكيف اختفى؟ بل كيف ظهر فجأة فى الجامع دون أن يتنبه له أحد طول الطريق الذى قطعه إلى المسجد؟

– هل نسيت أنه جمال عبدالناصر صاحب اشهر وأنجح تنظيم سرى فى تاريخ مصر القديم والحديث؟

يقول محمود مفسراً:

– مراسلنا يقول انه ما كاد يسلم مختتماً صلاته حتى قام من فوره ودخل دورة المياه.. وقال الذين كانوا ينتظرونه بالباب انهم رأوا شخصاً آخر يخرج أما هو فلم يخرج.. وحين فتحوا الأبواب لم يجدوا احداً بالداخل.. ويفسر رجال الأمن ذلك بأن الشخص الذى خرج هو جمال عبدالناصر الذى سارع بدخول دورة المياه فور إنهاء الصلاة ليتنكر بعيداً عن اعين الناس. ثم يخرج عليهم فلا يعرفه أحد.. وهكذا اختفى دون ان يعثر اى

احد على أثر له.

ويسأل أحد الصحفيين:

– ولكن لماذا جاء إلى الجامع بهيئته الطبيعية.. ثم سارع بالتنكر بعد ذلك؟

ويجيب محمود:

– ربما أراد أن يبعث برسالة لمن يهمه الأمر.. بأنه موجود فى مصر الآن.. دون أن يقع فى أيدى الذين يطلبونه.

– ينصر دينك.. هذا هو التفسير الصحيح.

يقولها أحد الزملاء، ضاربًا كفه بكف زميله محمود استحسانًا لرأيه.

(١٤)

يجلس «الريس» على مكتبه وامامه جلست السيدة «ن» وقبالتها جلس الأستاذ «ع» الذى قال مندهشاً:

– ولكن لماذا ذهب إلى قريته ولم يأت إلى القاهرة.. أو إلى مقر الحزب.

تقول السيدة «ن» بسخرية:

– تريد أن تقول أنه ليس عنده التزام حزبى.. وهل كان يجب عليه أن يسلم نفسه للحزب قبل أن يذهب إلى بيته؟

– يرد الأستاذ «ع» مشيحاً بيده:

– على فكرة أنت بالك رايق!

يحاول «الريس» أن يجعل الحوار أكثر جدية:

– علينا أن نفكر فيما يجب أن نفعله الآن.. لقد أصبح زعيمنا فى مصر ونحن لا ندرى عنه شيئاً.. هل تتوقعون أن يتصل بنا لنساعده؟..

قالت «ن» فى سخرية:

– وهل نحن الذين نساعد عبدالناصر أم هو الذى سيساعدنا؟!

يرد «الريس»:

– انت فعلاً بالك رايق كما قال «ع»!

ترد السيدة «ن»:

– علينا أن نفكر بطريقة عملية أكثر.. بدلاً من أن نجلس

هنا فى انتظار الاحتمالات.

يسألها «الريس»:

– وهل لديك اقتراح محدد.

– عن نفسى سأسافر إلى قريته فى أسيوط فأنا اعرف أقاربه.. وأقاربه يعرفوننى.. وما دام قد ذهب إلى أسيوط فلابد وأن يكون مختبئًا عندهم.. أو يعرفون مكانه على الأقل.

– هذا صحيح.. ولكن هل تعتقدين أنهم سيبوحون لك بمكانه، ما لم يكن يريد هو؟

سألها الأستاذ «ع».. وأجابته على الفور:

– لماذا جاء إلى مصر إذا لم يكن يريد رؤية أحد فيها أو الاتصال بأحد.. وإذا لم يسمح لنا نحن بالاتصال به.. فلمن سوف يسمح إذن؟.. نحن حزبه والمؤمنون به.. والمبشرون بعودته.

– والله كلامك معقول.. ولكن الكلام شىء والواقع شىء آخر..

قالها «الريس» مستبعداً الفكرة.. ولكن «ن» قالت فى حماسة واضحة:

– على أية حال سنحاول ولن نخسر شيئًا سوى ثمن التذكرة.. وهى شىء بسيط بالقياس للمكاسب المحتملة من الرحلة..

– وهل تعتبرينها رحلة؟

سألها (ع) ساخراً.. وتهم بالرد عليه ولكن جرس الهاتف يرن.. فينتظر الجميع فى لهفة الصوت القادم من الطرف الآخر:

- السيدة (ن) موجودة من فضلك؟

- نعم..

- ممكن أكلمها لو سمحت..

يمد (الريس) يده بالسماعة ليناولها إلى السيدة (ن) التى تبدو عليها اللهفة لمعرفة المتحدث.. وما أن تضع السماعة على أذنها حتى تنفرج أساريرها مبتسمة:

- أهلا.. أهلا سيادة الوزير..

- أهلا يا سيدتى.. ما الأخبار؟

- الحمد لله..

- أريد أن أسألك سؤالاً.. وأن تجاوبينى عليه بصراحة.

- تفضل يا سيادة الوزير..

- قبل أن يظهر جمال عبدالناصر بأيام.. أجريت استطلاعاً سألت فيه عن احتمال عودته.. وماذا يمكن أن يحدث لو أنه عاد فعلاً.. ثم ظهر عبدالناصر بعد ذلك بيومين أو ثلاثة.. فهل كنت تعرفين شيئا عن عودته.

- أنا؟ اطلاقا.. ومن أين لى أن أعرف؟

- يعنى.. ربما يكون قد اتصل بك.. أو أخبرك عن طريق أحد أنه سيعود إلى مصر.

- لا.. اطلاقًا المسألة كلها لا تعدو كونها حس صحفى.

بمناسبة الذكرى الثمانين لميلاده.. ولم يكن فى ذهنى أو فى ذهن أحد أن ينقلب الموضوع إلى الجد بهذه السرعة.

– ارجو أن تكونى صادقة معى.

– أنا صادقة فعلاً يا سيادة الوزير.. بل اننى لا أعرف ما إذا كان الخبر صحيحاً حتى الآن أو لا..

– على أية حال سوف يتم استدعاؤك فى أمن الدولة لسؤالك حول الموضوع.. وأرجو أن تذكرى لهم كل شىء بصراحة.. أنت لا تدركين خطورة الوضع.

– خطورة الوضع؟ كيف؟

– التقارير تقول ان إسرائيل أعلنت حالة الطوارىء على جميع جبهاتها مع الدول العربية.. وخاصة مصر، وأعلن وزير الدفاع الإسرائيلى عن إجراء مناورات بالذخيرة الحية على الحدود الجنوبية لإسرائيل.. يعنى على الحدود المصرية.. وربما وجدتها إسرائيل فرصة لإلغاء اتفاقية السلام والدخول معنا فى حرب لسنا مستعدين لها الآن.

– إلى هذا الحد؟

– والأكثر من ذلك أن الأسطول السادس الأمريكى بدأ التحرك فعلاً فى اتجاه الشرق الأوسط.. يعنى أصبحنا نعيش أجواء حرب حقيقية بسبب موضوع عبدالناصر.. خاصة بعد الإعلان عن ظهوره فى مصر.. ولا أحد يعرف فيما يفكر.. أو يخطط.

– يعنى الموضوع حقيقى فعلاً؟

– هذه مجرد احتياطات حتى يثبت أنه غير حقيقى.. ونأمل أن يكون غير حقيقى وانها مجرد اشاعات.. أو تهيؤات.. لأن الأوضاع لا تحتمل يا أستاذة.

– فعلاً.. فعلاً..

– أرجوك.. لو كان لك به أى اتصال.. أو تعرفين مكانه.. قولى له أن يعود من حيث أتى.. وكفى الله المؤمنين شر القتال!

– يا سيادة الوزير.. والله ما أعرف عنه أى شيء.. ولو كنت أعرف أية معلومات لقلتها فوراً.

– ربما لا تعرفين الآن.. ولكن إذا عرفت أية معلومات فأرجو أن تتصلى بى فوراً.. لأن المسألة فى غاية الخطورة كما شرحت لك.

– طبعًا.. طبعًا.

– أنا واثق من رجاحة عقلك وتقديرك للمسئولية، وأرجو ان تكونى عند حسن الظن بك.

– طبعًا.. إن شاء الله.

– مع السلامة.

– مع السلامة يا أفندم.

تضع السماعة.. وهى فى حالة ذهول.. وتكاد لا تسمع سؤال الأستاذ «ع» و«الريس» لها فى نفس واحد:

– ماذا حدث؟ أخبرينا..

## (١٥)

في مكتب رجل الأمن.. جلست الأستاذة ( ن ) قبالته وهي تقول له:

– هذا هو الموضوع من بدايته حتى نهايته.. وإذا كنت تريد رأيي فانا أرى انها مجرد فبركة أمريكية الغرض منها...

يقاطعها رجل الأمن بلهجة حادة:

– أيًا كان الذي يلعب أو صاحب اللعبة.. فاللعب الآن أصبح جداً.. والوضع اصبح خطيراً.. ولا اذيع سراً إن قلت لك ان كثيراً من رجال الأعمال بدأوا فعلاً في تهريب أموالهم إلى الخارج.. بل أن بعضهم سافر خارج البلاد ومعه أولاده.. وأن الأسعار في البورصة وصلت إلى أقل معدل لها منذ أن اعيد فتحها، أما سعر الجنيه المصري فقد أصبح في الحضيض.. وزاد التضخم إلى أعلى معدلاته، وأصبح السلام الاجتماعي في خطر..

– كل ذلك لمجرد اشاعة عن ظهور عبدالناصر؟

– يا أستاذة ( ن ) الاشاعة في مثل هذه الحالة مثل الحقيقة.. كلاهما له نفس التأثير.. فلا أحد مستعد لكي تفاجئه الأحداث.. ليقول يا ليتني..

– هذا صحيح.

– وهكذا فأنت ترين الوضع الداخلي، والخارجي في منتهى الخطورة.. ونذر الحرب أصبحت ترفرف فوق الرءوس.. حتى إذا كان وضعنا العسكري من القوة بحيث يسمح لنا بمواجهة احتمالات الحرب، فإن وضعنا الداخلي مع الظروف التي شرحتها

لك أصبح ضعيفًا.. والجبهة الداخلية مع هروب رءوس الأموال وتوقفها عن العمل.. أصبحت كما تعرفين.

- ولكن ما العمل؟

- علينا أن نجد هذا الشخص الذى ينتحل شخصية جمال عبدالناصر ونكشف حقيقته للعالم. فيعود كل شىء إلى ما كان عليه..

- إذن أنتم تعتقدون انها مجرد قضية انتحال.. وليست حقيقة..؟

- هذا هو الاحتمال الأقرب إلى الواقع.

- ولكن أمريكا وإسرائيل تتصرفان على أنه واقع.

- سوف نرى.. ولكن أرجو أن تساعدينا.. أو أن تساعدى بلدك على اجتياز هذه الأزمة.

- أنا؟.. وماذا فى يدى يمكن أن أفعله؟

- أنت صحفية مشهود لها بالكفاءة.. وتستطيعين الوصول إلى الحقيقة.. وأى شىء تتوصلين إليه أرجو أن تشركينا فى الاطلاع عليه ومعرفته.

- بكل تأكيد..

- والآن تفضلى.. واذهبى إلى أسيوط.. فقد اتصلت بمديرية الأمن هناك ليقدموا لك كافة التسهيلات.

- أشكرك.

- العفو .. وبالتوفيق إن شاء الله..

(١٦)

تجلس السيدة «ن» فى القطار وقبالتها جلس شاب فى العقد الرابع من عمره.. ينظر إلى بعض المجلات والصحف التى وضعتها «ن» فى حجرها.. والتى حملت اغلفتها صور عبدالناصر بينما هى تنظر من شباك القطار شاردة الذهن.. وكأنها تفيق على صوت محدثها:

– ممكن المجلة بعد اذنك؟

– هه.. تفضل.

ينظر إلى صورة عبدالناصر على الغلاف ثم يقول:

– يا ترى هل هذا الموضوع صحيح؟

– موضوع؟.. أى موضوع؟

– موضوع عودة عبدالناصر.

– وما رأيك أنت؟

– أعتقد أنه مجرد فرقعة لإلهاء الناس وشغلهم.

– ولكن المخابرات الأمريكية ووكالات الأنباء تؤكد حدوثه.

– حتى لو كان موضوع الاستنساخ حقيقة.. فهذه أول مرة نسمع فيها عن استنساخ ابن آدم.. وليس أى ابن من بنى آدم.. جمال عبدالناصر مرة واحدة؟

– إن استنساخ أى كائن حى ممكن. والفار أو القرد أو الخروف.. او حتى الإنسان.. كلها ممكنة لأن كلهم كائن حى.

– ولكن لم نر إنسانًا مستنسخًا حتى الآن.. هل تعتقدين انها لعبة أمريكية؟

– ربما.. وربما كانت حقيقة.

– مصيبة لو كانت حقيقة.

– مصيبة؟.. لماذا؟ هل رجوع عبدالناصر مصيبة؟

– أنا أعمل فى السياحة. ومنذ أن نشروا خبر ظهوره فى مصر وكل السياح الأجانب ألغوا رحلاتهم إلى مصر.. لقد خاف الأوروبيون من الحضور إلى مصر. وأصبحنا لا نجد غير السياح العرب.

– أليسوا كفاية؟

– أنت تعرفين أن هناك آلاف الأسر تعيش على دخلها من السياحة. ولم نكد نصدق هدوء الحال بعد الأحداث الإرهابية.. حتى ظهر لنا موضوع عبدالناصر.

– يبدو أنك لا ترحب بعودته.. ألا تحب عبدالناصر؟

– بالعكس.. أنا أحبه. وكان أبى يحدثنى عنه وأنا صغير بكل الحب والإعجاب.. ولكن الأوضاع تغيرت الآن. ولم تعد الظروف كما كانت أيام عبدالناصر.

– كيف؟

– عبدالناصر كان مسئولا عنا.. ولكننا الآن أصبحنا مسئولين عن أنفسنا.

– هذا صحيح.

- هل تعرفين.. رغم خسارتي بأخبار رجوعه إلا أن شيئًا في داخلي يتمنى عودته فعلاً.

- لماذا؟

- أيام عبدالناصر كان هناك الجديد كل يوم.. كنا نسمع نشرة أخبار التاسعة غير نشرة أخبار السادسة.. ونشرة أخبار الصباح غير نشرة أخبار المساء.. هنا أحداث كثيرة، وتغييرات.. وجديد في كل شيء.. أما الآن فأصبحنا نقرأ الجريدة التي قرأناها العام الماضي.. نفس الأحداث ونفس الأمور.. ونشرة الأخبار التي نسمعها الآن هي نفس النشرة التي سمعناها من قبل عشرات المرات.

- صحيح.

- كنت أتحدث مع سائحة فرنسية ذات مرة.. فطلبت مني صورة لجمال عبدالناصر لتحتفظ بها، وقالت لي عبارة لا أنساها.

- ماذا قالت؟

- قالت: لو كان عبدالناصر رئيسًا لفرنسا لأقمنا له تمثالاً من الذهب.

- فعلاً.. من حسن حظنا أنه لم يكن رئيسًا لفرنسا!!

- لم أعرف ما هو عملك؟

- أنا صحفية في جريدة «العرب» واسمي «ن.ف».. السيدة «ن.ف»

تضغط على كلمة «السيدة» لتتأكد أنها وصلته صحيحة.

- أهلاً.. وسهلاً يا أستاذة.. أنا أقرأ لك أحياناً.. ولكن لماذا تهاجمون الحكومة.

- نحن الذين نهاجم الحكومة.. أم الحكومة هى التى تهاجمنا؟!

يضحك لملاحظتها:

- هناك إيجابيات كثيرة لا تتحدثون عنها وتتحدثون فقط عن السلبيات.

- وهل أنشأنا حزبنا المعارض لنتحدث عن إيجابيات الحكومة.. ألا يكفى ما يكتب عن تلك الإيجابيات فى صحف الحكومة؟.. فإذا كتبنا نحن عن ايجابيات الحكومة وانجازاتها فمن إذن يكتب عن سلبياتها.. أرجو ألا تقول لى صحف الحكومة!!

تضحك ساخرة..!

- ألا تعتقدين أن هناك نهاية سريعة لهذه المشكلة؟

- أية مشكلة؟

- مشكلة عبدالناصر.

- أرجو أن تظهر الحقيقة.. وتهدأ الأمور.

- يارب..!!

(١٧)

في سيارة أجرة ركبت السيدة « ن » خلف السائق.. ووقفت السيارة أمام أحد الحواجز الأمنية لتبرز لهم بطاقتها الصحفية.. وتصريح الأمن الذى يطالعه الضابط المختص.

ثم يناوله لها قائلا:

– أهلاً يا أستاذة « ن » حمدالله على السلامة.

– أهلاً بك.. ما هي الأخبار؟ هل هناك جديد؟

– نحن الذين نسألك.

– إن شاء الله خير.. السلام عليكم.

تتقدم السيارة في اتجاه القرية التي لاتزال تبدو عليها بعض مظاهر التخلف رغم الطريق المرصوف الذى تسير عليه السيارة.

توقفت أمام أحد المنازل الريفية البسيطة. وناولت السائق أجرته. ثم تتقدم من الباب. فيقابلها عنده شاب يسألها:

– تريدين من؟

– بيت عبدالناصر.

يشير إلى البيت..

– هذا هو.. أهلاً وسهلاً.. تفضلي.

يفتح لها الباب فتدخل لتجد رجلاً مسنًا يجلس على اريكة في صحن البيت. ما أن يراها حتى يقف مرحبًا.

– أهلاً.. وسهلاً.. يا أستاذة.

- أهلاً بك يا حاج.

- حمداً لله على سلامتك.. لماذا لم تطلبينا بالتليفون لنستقبلك على المحطة؟

- ليست مشكلة.. وهل هذه أول مرة أحضر فيها إلى هنا.

- يا أهلاً.. وسهلاً.. نرجو الا تكونى قد تعبت..

- بالعكس.. الطريق مريح.

- هل ضايقك رجال الأمن؟

- لا أبداً.. أنا معى تصريح بالزيارة والمرور.. أرجو الا يكونوا قد ضايقوكم أنتم..

- والله يا ابنتى منذ أن أذيع هذا الموضوع ونحن فى تعب.. سين وجيم.. وتعالوا وروحوا.. لقد دخنا السبع دوخات!

- ولماذا كل هذا؟

- يعتقدون أننا نخبىء عبدالناصر عندنا.. وهل يختبىء عبدالناصر من أحد؟ هل تتصورين أن عبدالناصر يختبىء؟ ولماذا يختبىء؟ هل هو مجرم هارب؟ إنه زعيم العالم كله.

- صحيح يا حاج. ولكن ألم يتصل بكم حتى الآن؟

- وهل تصدقين أنت الأخرى مثل هذا الكلام؟ عبدالناصر يعود إلى الحياة بعد ثلاثين سنة من وفاته؟ هل هذا أمر معقول؟

- يقول العلم أنه معقول يا حاج..

- يحيى العظام وهى رميم.

- نعم.. ونعم بالله.

– ولكن ماذا فى أيدينا لنفعله؟

– يفعل الله ما يريد يا حاج.

– نعم.. ونعم بالله.. أهلاً.. وسهلاً.

تأتى إحدى الفتيات بصينية تحمل عليها أكواب الشاى.

فيقول الحاج:

– هاتوا الغدا للأستاذة.. أسرعوا.

– شكرًا يا حاج. سأجلس قليلاً ثم أذهب لمديرية الأمن عندى هناك بعض الأعمال.

– قولى لهم أن يخففوا الحمل عنا بعض الشىء.. فنحن أهل الزعيم.. ولا يصح أن يعاملونا هكذا.

– هذا شىء طبيعى يا حاج.. فى مثل هذه الظروف، انهم يريدون الوصول إلى الحقيقة.

– وهل نحن نعرف أكثر مما يعرفون؟

– على أية حال لا تغضب منهم.. فهذه هى طبيعة عملهم. وأرجو لو عرفت شيئًا أن تقوله لى.. وأنا سأتصرف.

– طبعًا.. طبعًا.. أنت منا وعلينا.

– بالتأكيد يا حاج.. وهذا شرف كبير لى.

– شرف الله مقدارك يا أبنتى.

– أرقام هواتفى معك.. أرجو أن تتصل بى قريبًا

– إن شاء الله.

تقوم لتمد يدها بالسلام.

– مازال الوقت مبكراً.. سوف نتناول الغداء معًا. منذ زمن لم تأكلى الفطير الصعيدى معنا.

تضحك فى مودة:

– شكراً يا حاج.. جعله الله عامراً بنفسك، السلام عليكم

– وعليكم السلام. هاتوا السيارة للأستاذة.

– لا.. لا شكراً سأركب أية سيارة للمدينة.

– وهل هذا معقول.. لابد أن نوصلك على الأقل.

يأتى أحد الشبان ويصطحبها حتى السيارة التى تقف أمام الباب.. يركبان وتنطلق السيارة بهما.

(١٨)

أمام مديرية الأمن، تشير إليه بالتوقف.. تسلم عليه وتشكره.. ثم تنزل من السيارة.. وتطلب منه أن يتحرك.

يتحرك الشاب بالسيارة منطلقًا. وتطمئن إلى أنه غاب عن نظرها. تتلفت حولها. وتوقف احدى سيارات الأجرة. فينطلق بها إلى محطة القطار حيث أمرته.

وفى المحطة.. تركب أحد القطارات. ثم تذهب إلى دورة المياه.. وبعد قليل تخرج منها بعد أن تكون قد بدلت ملابسها ووضعت إيشاربًا على رأسها ونظارة سوداء على عينها. ثم تسير إلى أحد الأبواب الأخرى. غير الباب الذى ركبت منه. وفى خارج المحطة توقف إحدى سيارات الأجرة وتطلب منه أن يذهب بها إلى أحد الشوارع المعروفة.

وهناك تقف السيارة لتنزل منها السيدة « ن » وبعد أن تمضى السيارة تعدل من هيئتها، وتتلفت حولها لتطمئن إلى أن أحدًا لم يكن يتابعها. ثم تنطلق بسرعة إلى احدى العمارات القريبة، التى يبدو انها كانت تعرفها جيدًا.. تصعد السلم وهى تنظر خلفها.. وتتوقف أمام إحدى الشقق وتطرق الباب.. فيفتح لها رجل عجوز.. أسمر اللون.

ـ أهلاً.. أهلاً يا أستاذة.. وصلت فى موعدك.

تدخل السيدة « ن » وقبل أن يغلق الرجل الباب ينظر فى بئر السلم ليتأكد أن أحدًا لم يكن يتابعها. ثم يعود إلى الباب ويغلقه.. ويشير إليها بيده.

– تفضلى.. يا أستاذة.

– هل الزعيم موجود هنا.

– نعم.. انه فى غرفة المكتب يقرأ بعض التقارير والصحف.. ولكن قولى لى أولاً هل ذهبت إلى القرية كما اتفقنا؟

– نعم.. لقد نفذت خطة التمويه كما اتفقنا تماماً.

– وكيف حالهم هناك؟

– إنهم لا يصدقون عودة الزعيم.

– هذا أفضل.. للتمويه.

– لقد سألوهم فى الأمن فانكروا عودته وأنكروا أنه حضر إليهم أو اختبأ عندهم.

– لقد توقع الزعيم ذلك فلم يلجأ إليهم.. ولجأ لى أنا.. فأنا لست من أقاربه.. ومن المستبعد أن يترك أهله وأقاربه ويلجأ إلى حارسه الخاص. أو الرجل الذى كان يعمل حارساً خاصاً له.

– لقد أصبحت حارسه الخاص من جديد.

– نعم.. وهذا يسعدنى كثيراً فقد كان يثق فىّ.

– ومازال يثق فيك رغم مرور السنين. وتغير الظروف. ويثق أنك لن تبيعه مهما كان الحال.

– لقد رصدت الحكومة الأمريكية مليون دولار لمن يدلى بمعلومات عنه. ولكن ملايين الدنيا لا تساوى عندى حياة الزعيم.

– ولكن.. هل هو الزعيم.. أقصد نفس الرجل الذى عرفته

لسنوات طويلة؟

– لم يتغير فيه شيء.. كأنه لم يتركنا يومًا واحدًا.

– هو.. بنفس عاداته وشخصيته؟

– أقول لك الحق.. فى البدء كنت أشك فيه بعض الشيء.. ولكن منذ أن جاء وحتى الآن، يؤكد لى فى كل دقيقة تمر أنه هو.. جمال عبدالناصر الذى عرفته خمسًا وعشرين سنة.

– لقد إزداد شوقى لرؤيته.. هل تأذن لى؟

– سأدخل إليه الآن لأخبره بحضورك.. بعد أذنك.

– تفضل.

يدخل «امبابى» إلى غرفة داخلية وغلق الباب خلفه. ويبدو جمال عبدالناصر جالسًا إلى مكتبه وعلى عينيه نظارة القراءة. ينتبه لدخول «امبابى» فيسأله:

– ماذا من أخبار؟ هل وصلت السيدة «ن»؟

– نعم يا «ريس» وهى الآن بالخارج تنتظر إذنك.

– قل لها تفضلى.

يخرج «امبابى» ويغلق الباب خلفه. ويقوم الزعيم من مكتبه ويتقدم ليجلس على أحد المقاعد. يطرق الباب.. وتدخل السيدة «ن» وما أن ترى الزعيم حتى تتقدم إليه بخطوات مسرعة كمن يريد احتضانه ثم تتوقف مكتفية بمد يدها بالسلام فى لهفة.

– أهلاً.. أهلاً يا أفندم نحمد الله على سلامة سيادتكم.. نحن مسرورون وسعداء بعودتكم.

- أهلاً يا أستاذة.. تفضلى.

يجلس هو.. وتظل واقفة فى مكانها.. حتى يطلب منها فى لهجة آمرة أن تجلس.. فتجلس.. ويسألها فى لهجة ودودة:

- أرجو ألا تكونى قد تعبت فى الوصول إلى هنا.

- لا.. أبداً كل شيء يهون فى سبيل الوصول إليك.

- اشكرك.. أرجو أن تكونى قد نفذت الخطة جيداً.

- نعم.. لقد تأكدت أن أحداً لم يكن يتابعنى حتى وصلت إلى هنا. إنها خطة ممتازة وعلمت من عم «امبابى» حين جاءنى فى القاهرة ان سيادتك قد وضعتها بنفسك حتى لا يتمكن أحد من معرفة مكانك عن طريقى.

- لا أعرف ما الذى يريدونه منى الآن.. إنهم يريدون القبض علىّ كما لو كنت مجرماً هارباً من تنفيذ الحكم بالاعدام.

- انك خطر على الجميع.. وطبيعى أن يطلبك الجميع.

- ربما أكون خطراً فى الماضى.. ولكن ما هى خطورتى الآن.

- ستظل خطراً.. بأفكارك ومبادئك ومواقفك الحية دائمًا.. فإذا عدت حيًا أصبح الخطر خطرين. خطر الأفكار الحية.. وخطر الشخص الذى عاد حيا.

- اشكرك على أية حال لثقتك فى.. والحقيقة أننى طلبت ان أراك بعد أن قرأت موضوعك الذى كتبتيه فى الجريدة عن عودتى. وما الذى يمكن أن يحدث.

– أنا سعيدة انك قد قرأته.

– نعم.. احضره لى «امبابى» وقرأته.. ولكنك لم تقولى رأيك فى عودتى رغم انك طلبت رأى الجميع.

– صحيح.. لم أقل رأيى فى الجريدة.. ولكن أقوله لك الآن.. إذا سمحت لى.

– تفضلى.

– فى رأيى أنك لن تعود.. لأنك لم تذهب ولم تغادرنا حتى تعود.. فأنت حى فينا.. فى كل شىء قدمته لنا وعملته من أجلنا. فكيف تموت وانجازاتك خالدة؟!

– انك تتحدثين كما لو كنت أسألك عن الماضى.. ولكنى سألتك عن الحاضر.. والمستقبل.

– أنت الوحيد الذى يمكنه الاجابة عن هذا السؤال.. لقد رأينا انجازاتك فى الماضى ونريد أن نرى انجازاتك فى المستقبل.

– انجازاتى فى الماضى لم تكن خياراً لى وحدى.. فقد شاركتنى الظروف فى اختيارها.. أو بمعنى أصح فى فرضها.

– هل قمت بما قمت به مضطراً؟

– لم أقل ذلك.. ولكنى قصدت أن أقول لك أن الظروف عامل هام فى اختيارتنا.

– نعم.. ولكن الظروف الآن أشبه بالظروف التى جئت فيها منذ نصف قرن.

– يا أستاذة «ن».. يستطيع العلماء أن يستنسخوا جمال

عبدالناصر مرة ومرتين وربما عشر مرات.. ولكنهم لا يستطيعون استنساخ الظروف التاريخية مرة واحدة.. والتاريخ يعيد نفسه ليست مقولة صحيحة. فلا التاريخ يعيد نفسه.. ولا نحن نعود كما كنا حتى لو أردنا.

تحاول أن تقاطعه.. فيشير إليها بيده.. فتسكت ليواصل كلامه:

– لو أردتم أن تعيدوا جمال عبدالناصر الذى تعرفونه.. فأعيدوا قناة السويس للسيطرة الأجنبية حتى أقوم بتأميمها من جديد فأصبح جمال عبدالناصر.. وأعيدوا قوات الاحتلال الإنجليزى إلى مصر لأقوم بطردهم.. وأعيدوا الأرض للإقطاعيين لأصدر قانون الإصلاح الزراعى.. وأعيدوا الأمية والجهل لملايين المواطنين لأفتح لهم المدارس المجانية.. وأهدموا السد العالى لأبنيه من جديد!

– ولكنا نعيش الآن ظروفًا صعبة ونريد التخلص منها.. ولا يستطيع غير جمال عبدالناصر أن يخلصنا منها.

– إن الشعوب التى تحتاج لشخص ميت لكى يخلصها هى شعوب ميتة.. والشعوب الحية هى التى يحكمها الأحياء.

– ولكنك لم تمت.. أو على الأقل كنت ميتًا فعدت حيًا.. ونريدك أن تقودنا من جديد لنحقق ما حققناه معك وبك.

– أنا الذى قلت ان الشعب هو المعلم. وهو القائد ولا يصح أن أنصب نفسى قائدًا ومعلمًا للشعب.

– إن الشعب هو الذى يطلب منك ذلك. ولو نزلت الآن

إلى الشارع لحملك الناس على أعناقهم إلى القاهرة.

– ومن قال أننى أريد ذلك؟

– ولكن لماذا عدت إذن؟

– لم يكن ذلك قرارى. ولو سالونى عن رأيى لقلت لهم دعونى فى راحتى الأبدية.

– إن راحتك ليست فى النوم ولكنها فى العمل والإنجاز من أجل الشعب الذى أحبك.

– تعرفين ما الذى أريده وأتمناه الآن؟

– نعم..

– أن أعيش حياتى كمواطن عادى.. أريد أن أعمل صحفيًا فى جريدة.. أو صياد سمك.. أنت تعرفين أن صيد السمك كان هوايتى المفضلة.

– ليس من حقك أن تقرر ذلك وحدك.. إنك زعيم والزعماء ملك لشعوبهم وليسوا ملكًا لأنفسهم يقررون لها مايريدون.

– أرى أنك ناصرية أكثر من جمال عبدالناصر نفسه.

يقول ذلك مبتسمًا. فتشعر بالخجل وهى تقول:

– العفو.. ولكن..!!

يقاطعها الزعيم:

– من حقك أن تؤمنى بما تشاءين.. ومن حقى أنا أيضًا أن أؤمن بما أشاء. وليس من حقى أن أفرض عليك فكرى.. ولا من

حقك أن تفرضى على فكرك.. فالمفروض مرفوض.. كما تقول الحكمة.

– هذه ليبرالية.

يقاطعها الزعيم:

– أفهم ما تقصدين.. ولكن الاشتراكية هي قمة الليبرالية. هكذا أفهمها.. فلكى يقول المواطن رأيه حراً كان علينا أن نخلصه من كل الظروف التى تحول بينه وبين حريته. من فقر وجهل ومرض.. إن خطأكم أنكم تضعون الاشتراكية فى مواجهة الليبرالية. ولكن الاشتراكية فى الواقع هى خطوة على الطريق الصحيح لليبرالية الصحيحة. فنعطى للفلاح أرضاً وللعامل حقاً فى مصنعه ليتمكن من أن يقول رأيه بحرية.. أى ليكون ليبرالياً بحق.

– لقد عاد الرأسماليون من جديد وعاد الاقطاعيون.. وعاد كل شىء كما كان.

– لقد عاد الاقطاعيون والرأسماليون من جديد.. ولكن الفلاح والعامل لم يعودا كما كانا.. لقد رأيت «الدش» فوق اسطح بيوت الفلاحين بدلاً من «الجلة» وقش الأرز والقطن، ومياه الشرب فى كل البيوت وكذلك الكهرباء، والغسالة الأوتوماتيك بدلاً من الطشت.. وأصبح التعليم فى كل بيت، ولا خوف على المواطن طالما كان مسلحاً بالعلم.

– هذه أفكار جديدة.

– بل هى نفس أفكارى القديمة.. وإلا فلماذا جعلت العلم

والتعليم على رأس أولوياتى.. ونشرت المدارس فى كل مكان وجعلت التعليم مجانيًا؟ لأجعل أبناء الفلاحين أطباء، ومهندسين، ومحامين، وصحفيين، ومعلمين، فيدافعون عن حقوقهم بالعلم.. والذى يمتلك العلم أهم من الذى يمتلك المصنع والأرض.

– إنهم يفكرون الآن فى إلغاء نسبة الخمسين فى المائة للعمال والفلاحين فى المجالس النيابية.

– إننا نملك الدستور.. وليس الدستور هو الذى يملكنا، وكل نسبة لابد وأن تتحرك حسب الظروف. فلو أصبح الأطباء أو المدرسون أو الموظفون هم الأغلبية فى الشعب. لكان لهم الحق فى التمثيل بنسبة أكبر.. لماذا لا يصبح الموظفون مثلاً هم الأغلبية فى المجلس، بدلاً من المثقفين؟ أو لماذا لا يصبح أبناء الفلاحين من الأطباء والمهندسين والموظفين بدلاً من الفلاحين.. إننا نعيش الآن جيل الأبناء، وليس جيل الآباء.. التى وضعنا هذه النسبة لهم.. والأبناء الآن – أبناء العمال والفلاحين – أصبحوا هم الأغلبية المتعلمة فلماذا لا تؤول النسبة لهم بدلاً من آبائهم؟ لماذا لا يكون الطبيب أو المهندس أو المدرس أو الموظف الذى يملك أرضًا فى الريف وكان والده أو لا يزال يعمل بالزراعة ممثلاً للفلاحين.. ولماذا لا يكون ابن العامل ممثلاً لأبيه الذى كان أو لا يزال يعمل؟

– إنها أفكار جديدة.. ومختلفة.

– وذلك لأن هناك ظروفًا جديدة ومختلفة. ألم أقل لك أن الظروف هى أهم العوامل فى تحديد اختياراتنا؟

– ولكن ما رأيك فى الصراع العربى الإسرائيلى وتطبيع

العلاقات؟

– لا أفهم ماذا تقصدين بكلمة تطبيع العلاقات؟

– أى جعل العلاقات طبيعية.

– إن العلاقة الطبيعية بين المحتل وصاحب الأرض المحتلة.. هى علاقة يغلب عليها الصراع والكراهية وليس التعاون والحب.. وأنا مع تطبيع العلاقة بيننا وبين المحتل.. أى محتل. وجعلها علاقة طبيعية تتسم بالكراهية. وهى أبسط حق بل أبسط واجب من واجبات المواطن تجاه المحتل الغاصب.

– ولكن صراعنا مع العدو..

يقاطعها الزعيم :

– ان صراعنا مع العدو، هو صراع حضارى فى المقام الأول وليس صراعًا عسكريًا بين سلاح وسلاح.. أو بندقية وبندقية.. ولكنه بين عقلية وعقلية، زناد الفكر هنا أهم من زناد البندقية.. وكل أمى ننجح فى محو أميته هو دانة فى المدفع المصوب نحو عدونا.. وكل مصنع نبنيه، أو مدرسة نفتحها، أو معمل نشيده، أو طريق نرصفه هو طلقة نحشو بها مدفعنا. هل تعرفين متى سننتصر على أعدائنا نصرًا مبينًا؟

تقول بلهفة:

– نعم يا سيدى الزعيم..

– حين ننجح فى التقدم على عدونا.. وجعله يسير خلفنا بدلاً من أن نسير نحن خلفه. حين ينظر فيجدنا أمامه وليس

خلفه. إن النصر لا يقاس بعدد المدافع أو الطائرات أو البنادق أو العساكر عندنا. وعددهم عنده.. بل بعدد العلماء عندنا وعدد المتعلمين والمثقفين. بعدد الكتب التى ننشرها. وعدد الذين يقرأونها.. حين يصبح عدد الذين يترشحون فى الانتخابات أكثر من عدد الناخبين.. والفرق بين الناجح فى الانتخابات والذى سقط فيها فرقًا ضئيلاً.. ستقولين انها افكار ليبرالية.. وسأرد عليك..

تقاطعه قائلة:

– لقد فهمت ما تقصده.. ولكن ماذا..

– دعك من الأسئلة.. اعرف أنك صحفية ماهرة.. دعينى أنا الذى أسألك لأجرب معك.. كيف سأكون صحفياً..

يضحك الزعيم.. وتضحك هى فيفاجئها، بالسؤال:

– هل أنت متزوجة؟!

– كنت متزوجة من طيار مصرى راح شهيداً فى الحرب..

– ولماذا لم تتزوجى بعده؟

– ومن أتزوج بعد الشهيد.. هل هناك رجل أفضل منه أو مثله ليحل محله فى بيتى؟

– هناك عظماء كثيرون.. ومن يفنى جهده فى سبيل وطنه كمن يفنى عمره.. أليس لك أولاد؟

– لقد تزوجت الصحافة.. وأنجبت منها عشرات الموضوعات الناجحة.

تقول ضاحكة.. ثم تواصل:

- كيف تقضي وقتك هنا.

- فى القراءة ومقابلة بعض أصدقائى القدامى من الذين كانوا يعملون معى فى البيت.. الطباخ والسفرجى والسائق والبستانى وغيرهم.. هؤلاء قضوا معى من الوقت أكثر مما قضوا وسط أبنائهم وأهلهم. أحبونى حبًا حقيقيًا ولم يتاجروا بى وباسمى حيًا أو ميتًا وتحملوا فى سبيلى الكثير.

- وأولادك؟.. ألا تريد أن تراهم؟

- هم حبة عينى بالرغم مما سمعته عنهم.

- معى صور لهم.. أحضرتها إليك لتراهم.

تفتح حقيبة يدها.. وتسلمه بعض الصور.. وهى تقول:

- أخذت لهم هذه الصور حديثًا.. فى حفل زفاف احدى حفيداتك على ابن أحد أثرياء الطبقة الجديدة.

ينظر إلى الصور فى تأثر وقال:

- لقد سمعت أنه كان حفلاً أسطوريًا.. ليلة من ألف ليلة وليلة!

- هذا ما قالته الصحف فى وصف الحفل.. لقد جاء الطعام من باريس ساخنًا. ورقص فيه نجوم الرقص والغناء حتى الصباح.

- لقد أصبحوا من الأثرياء.. كبار القوم!!

- نعم.. لقد خرجوا على تحالف قوى الشعب العامل.

لايزال الزعيم ينظر إلى الصور فى أسى ثم يقول:

– تذكرت ليلة زفاف أمهم.. لم يكن فيها غير الكوكاكولا وقطع الجاتوه. وتصورت أننى أقيم حفلاً فاخراً!!

– هل ستقوم بتأميمهم يا سيدى الزعيم!!

– الآن..؟.. لا..!!

– لماذا لا تبدأ بهم قرارات التأميم الجديدة؟!

– الظروف لم تعد تسمح.. قلت لك ذلك واعتقدت أنك فهمت.

– ولكن الخصخصة تزحف على كل شىء فى البلد وأصبح الأغنياء يمتلكون كل شىء فيها.

– لو كنت ناصرية كما تقولين لعرفت أننى لم أؤم الشركات والمصانع إلا بعد تقاعس أصحابها عن المشاركة فى الخطة الخمسية الأولى، وهربوا أموالهم إلى الخارج. ورفضوا استثمارها فى البلد. فأممت الدولة المصالح والشركات لتحل محلهم فى تنفيذ الخطة. ولو لم يفعلوا ذلك ما كان التأميم ولا كانت قراراته.

– ولكن يا سيدى..

يقاطعها الزعيم بإشارة من يده.. ويواصل كلامه:

– التأميم ليس هدفًا فى ذاته.. ولم نؤم لأننا أردنا فقط أن نؤمم. بل أممنا ما أممناه لأن التأميم كان طريقنا الوحيدة للتنمية.. ولو كان هناك طريق آخر لما قمنا به. إن الرأسماليين هم الذين فرضوه علينا أسلوبا لم نجد غيره. ومع ذلك نادينا بقيام الرأسمالية الوطنية بدورها فى تنمية وطنها. وقد أثبت الكثيرون منهم أن

ولاءهم للوطن أكبر من ولائهم لأى شىء آخر.

- ولكن الملكية للشعب أهم ضمان.. وأهم من ملكية أفراده.

- إن الشعب ما هو إلا مجموع أفراده.. والرأسماليون جزء من الشعب.

- ولكن الرهان على القطاع الخاص وحده.. رهان الخاسرين.

- ومن قال ذلك.. إن القطار لا يسير إلا على قضيبين وإذا سار على قضيب واحد انقلب.. فى أمريكا يفهمون ذلك وفى أعتى النظم الرأسمالية فى العالم.

- سيدى الرئيس..

يقاطعها بلهجة ودودة قائلاً:

- سيدتى الصحفية.. اعذرينى لو قلت لك أننى تعبت.. وانتظر بعض الضيوف الذين جاء موعدهم (ينظر فى ساعته) أرجو أن أراك مرة ثانية.

- إذا لم يكن ذلك يضايقك.

- بل أنه يسعدنى.. تحياتى لك ولكل زملائك فى الجريدة. يستدرك الزعيم بسرعة:

- كنت أتمنى أن يصل سلامى إلى الجميع.. ولكن أرجو أن يبقى موضوع لقائنا الآن سراً.. أنت تعرفين الظروف. وأرجو أن نلتقى قريباً فى النور.

– قريباً إن شاء الله. وأرجو أن تكون ثقتك فى محلها.

يمد يده مسلماً عليها.. وتمد يدها قائلة:

– إلى اللقاء.

– إلى اللقاء.

(١٩)

يجلس «الريس» على مكتبه.. تطرق السيدة «ن» الباب وتدخل.. يرحب بها الريس:

– أهلاً.. أهلاً.. نحمد الله على السلامة..

– سلمك الله.

– متى عدت من أسيوط؟

– عدت ليلة أمس فى ساعة متأخرة.

– لهذا لم تتصلى بى.. ماذا فعلت هناك وماذا حدث معك؟

– قابلت أقارب الزعيم فى القرية.

– وهل رأوه؟

– لا.. لم يره أحد منهم.

– الموضوع إذن مجرد تهيؤات.. وليس صحيحًا بالمرة.. فلو أن الزعيم قد عاد بالفعل لذهب إلى أهله.

– ربما كانت له حسابات أخرى.. ولا تنسى أن أهله سيكونون أول هدف يتجه نحوه من يبحث عنه ويطلبه.

– هذا صحيح.. ولكن أين ذهب؟

– ربما عند أحد من أصدقائه أو معارفه.

– إذن علينا أن نبحث عند كل من يعرفه ويحتمل أن يذهب إليه.

– ولماذا كل هذا التعب.؟ لو كان الزعيم قد عاد فعلاً لظهر على الملأ. إن لم يكن اليوم فغداً.. أم تراك تعتقد أنه عاد ليختفى فى أحد الكهوف. ثم يموت سراً كما عاد سراً؟

– صحيح.. لابد وأن يظهر.. ولكن لماذا لا يظهر الآن؟

– ليسلم نفسه إلى الشرطة؟

– سوف يتأكدون أنه الزعيم ويفرجون عنه فوراً.

– ربما يريد غير ذلك..

ثم تحاول تغيير الموضوع فتسأل «الريس»:

– هل تعتقد أنه لو عاد.. سيعود كما كان.. جمال عبدالناصر الذى عرفناه؟

– من الذى سيعود إذن.. سيعود فى صورة الملك فاروق؟!

– كلا.. ولكن ربما عاد فى صورة أخرى ليست جمال عبدالناصر وليست الملك فاروق.. صورة بابا نويل مثلا!!

– صورة أخرى؟ وكيف يكون عبدالناصر إذن؟

– عبدالناصر الذى عرفناه.. عرفناه كذلك فى ظروف مختلفة لم تعد موجودة الآن.. ولا وجود لعبدالناصر الحقيقى إلا بوجود الظروف التى ظهر فيها. واختلاف الظروف يعنى اختلاف الشخص.

– عبدالناصر مختلف؟ شخص آخر غير الذى عرفناه! لماذا عاد إذن؟

– وهل هو الذى عاد.. أو أنه أعهد؟ لو كان عليه هو لما

فكر فى العودة الآن. وفضل أن يبقى فى نومته الأبدية ينعم بالراحة بعيداً عن متاعبنا.

– هو الذى نذر نفسه لتخليصنا منها.

– لقد خلصنا مما يستطيع قدر طاقته ومات.. وعلينا أن نخلص أنفسنا من الباقى.. أم تراكم تعتقدون أنه سيعيش لنا إلى الأبد ليقوم بدوره فى تخليصنا من الهموم والمشاكل. بينما نحن فى استرخاء أمام التليفزيون وعلى رمال الشواطىء، وفى الصالونات المكيفة نتحدث عن آخر الأخبار؟!

– إذا لم يفعل ذلك.. فما الذى يفعله إذن؟

– سيفعل ما يفعله أى مواطن عادى.. سيبحث له عن وظيفة أخرى غير وظيفة الزعيم التى نصبناه فيها. ربما عمل صحفياً أو محامياً أو تقدم بطلب لصرف معاشه وعمل مشروعا يأكل منه عيش.

– لابد وأنك تهزأين بى وبالزعيم.. وهذا لا يصح.. عيب جداً.

– أنت تعرف أننى آخر من يمكن أن توجه له مثل هذا الاتهام.. فأنا لم اتزوج مرة أخرى ولم أنجب ولم أعش حياة أية سيدة لأننى نذرت نفسى لمبادئه. والدفاع عنه.

– إذن كيف تقولين ذلك على الزعيم؟ أو تقبلى أن يقوله أحد امامك؟

– لم أقل غير الحقيقة التى يجب أن نواجه بها أنفسنا الآن.. لقد عشنا سنوات طويلة نحلم بعودته، ولم يتوقف أحد

منا ليسأل نفسه أو يسأل غيره.. ماذا لو عاد عبدالناصر الآن؟ هل سيعود نفس الشخص أو سيتغير؟

– عبدالناصر لا يمكن ان يتغير.

– إذن أنت – وبكل أسف – لا تفهم عبدالناصر.. عبدالناصر الذى لا يتغير ليس هو عبدالناصر.. لقد كان يفكر دائمًا فى التغيير. فى تغيير نفسه.. قبل تغيير الظروف من حوله.

– ها أنت عدت مرة أخرى تتحدثين عن الظروف.

– لقد تغيرت الظروف فعلاً.. نحن الآن فى عصر الشرعية الدولية وعبدالناصر الذى عرفناه.. عرفناه فى عصر الشرعية الثورية.

– ماذا سيفعل عبدالناصر الثورى.. فى ظل الشرعية الدولية والعولمة؟. والعالم ذى القطب الواحد؟

– سيعيد القطبية إلى العالم بمجرد ظهوره.. سيبدأ الفرز من جديد.. وسيلتف حوله الملايين من شعوب العالم ليكون قطبًا جديدًا فى مواجهة القطب الأمريكى الأوحد.

– وسيقف القطب الأمريكى الأوحد مكتوف الأيدى.. أو يشغل نفسه بلعب البيسبول حتى يمكن عبدالناصر من تكوين قطبه المناوىء والمعادى.

– سيُحارب.. وسيحارب.

– وسينتصر..!

– ليس مهمًا أن ينتصر.. ولكن المهم أنه حاول.

- إنك تتحدث عن بطل رومانسى.. ولم يكن عبدالناصر رومانسياً.. ربما كان حالمًا.. ولكن حلمه لم يبعده عن الواقع.

- أرى أنك قد تغيرت كثيراً.

- لقد غيرنى هو..

تستدرك قائلة:

- هو الذى قال اننا لم ننغمس فى النظريات بحثًا عن الواقع بل انغمسنا فى الواقع بحثًا عن النظريات. فإذا عاد الآن سيفعل نفس الشيء.. سينظر إلى الواقع من حوله بحثًا عن الأفكار التى تناسبه. وبذلك سيكون هو نفسه. جمال عبدالناصر الذى لم يفارق واقعه.. ولم يسمح للواقع أن يفارقه.. أو يفلت منه.

- لو كان جمال عبدالناصر الذى عاد الآن.. يؤمن بنفس أفكارك فنحن لا نريده وعليه أن يعود من حيث أتى.

- انه هو الذى لا يريدنا.. لا يريدنا كما نحن الآن.. عاجزين متواكلين. رجعيين. ننظر خلفنا أكثر مما ننظر أمامنا. لقد كان عبدالناصر ينظر أمامه دائماً.. أما نحن الذين نقول اننا نسير على خطاه ونتبع منهجه فننظر خلفنا. اننا رجعيون باسم الناصرية.. ونسينا أنه عاش طوال حياته يحارب الرجعية.. والرجوع.. ولا نكتفى فقط بأن نكون رجعيين. بل نريده رجعيًا معنا.. أمامًا وقائداً للرجعيين والرجعية.

- أنا لا أسمح لك بهذا التجاوز.. انك تتهميننا بالرجعية ونحن الحزب الذى يرفع راية التقدم.. والتقدمية.

- عفواً يا أستاذ.. أنا لم أقصد الحزب ولكنى قصدت

جميع من يعمل بالسياسة. انظر إلى جميع الأحزاب السياسية بدءاً من أكثر الأحزاب يمينية وانتهاء بأكثر الأحزاب يسارية. ستجدها جميعًا أحزابًا رجعية.. لا تحكم على شيء.. أو تبدى وجهة نظرها فى ظاهرة من الظواهر إلا بعد الرجوع إلى ماركس أو عبدالناصر أو سعد زغلول.. كتب السلف الصالح. ومشايخ القرن الأول. أين نحن. وأين فكرنا. وأين عقولنا. لقد الغينا عقولنا ووضعنا مكانها عقل ماركس وعبدالناصر والإمام فلان والشيخ علان. مع أنهم جميعًا بشر مثلنا. وقد أمرنا الله جميعًا بأعمال الفكر وتشغيل العقل. ولم يأمر هؤلاء وحدهم وأمرنا نحن باتباعهم.. هذا ما قصدته وأرجو أن تكون قد فهمته.. وأستأذنك الآن لأنى متعبة.

– تفضلى..

تخرج السيدة «ن» وتغلق الباب خلفها.. فيقول «الريس» كمن يتحدث إلى نفسه:

– رجعيون؟.. نحن رجعيون؟ والله عال.. ما الذى جرى لها؟!

(٢٠)

تجلس السيدة « ن » إلى مكتبها.. يطرق الباب ويدخل عم « امبابى » قلقًا:

– أهلاً.. عم « امبابى » حمد لله على السلامة.. تفضل.

– الحقى يا أستاذة.. الزعيم اختفى!

تنظر إليه كمن لدغتها عقرب:

– اختفى؟.. كيف؟ ومتى؟

– منذ أمس.. جهزت له الافطار ودخلت حجرته لأوقظه فلم أجده.. بحثت عنه فى القرية فلم أجده.. سألت عنه كل من يعرف عودته. فلم أجده.. قلت لنفسى ربما يكون قد حضر إليك فى القاهرة. وتعلمين مكانه.

– لا.. لم يحضر إلىّ.. ولكن إلى اين ذهب؟

– لا اعرف.. انتى اخاف عليه. انه الآن فى خطر. ولا أعرف كيف اتصرف.

– إذن ليس أمامنا غير أن نبلغ الشرطة لتبحث عنه.

– ولكن الشرطة ستعتقلنا بتهمة التستر واخفاء معلومات خطيرة.

– هذا ليس مهمًا.. المهم أن ننقذه.. فربما اختطفته أمريكا أو إسرائيل. أو أية جهة أخرى.

– استر يا رب.

(٢١)

في مكتب «الريس».. جلس ومعه الأستاذ «ع» الذى قال مستنكراً:

– إذن.. فقد كانت «ن» تعرف مكانه.. وقابلته.. واخفت عنا ذلك.

– بل أنها اخفت عن الشرطة وهذه هى المشكلة التى تواجهها الآن.

– ولكن أين ذهب.. وأين اختفى؟

– ربما تكون أمريكا أو إسرائيل قد خطفوه.

– غريبة.. حين ظهر قال الناصريون انه صناعة أمريكية ولابد أن أمريكا هى التى استنسخته وارسلته إلى مصر. وحين اختفى فى مصر قالوا ان أمريكا هى التى خطفته!!

– من الذى فعلها إذن؟

– ربما يكون الناصريون أنفسهم..!

ينظر إليه «الريس» مندهشاً:

– الناصريون.. يخطفون عبدالناصر؟ كيف؟

– أقصد بعض الناصريين.. غلاة الناصرية الذين لم تعجبهم الافكار التى عاد بها.. فشكوا فيه وقتلوه على أنه عميل أمريكى. قامت أمريكا بزرعه ليشوه عبدالناصر الحقيقى ويدس السم فى افكاره.

– نعم.. ربما حدث ذلك بالفعل..

(٢٢)

يدخل أحد الجنود على رجل الأمن ليستأذن للسيدة « ن » في الدخول:

– السيدة « ن » بالخارج وتريد مقابلة سيادتك.

– دعها تدخل.

يخرج الجندى ويغلق الباب خلفه.. وبعد قليل تطرق السيدة « ن » الباب وتدخل.

– صباح الخير.

– صباح النور.. تفضلى يا أستاذة.

تجلس السيدة « ن » على المقعد فى مواجهة المكتب الجالس عليه رجل الأمن. فيبادرها بالكلام:

– خيراً.. قلت لى فى التليفون ان عندك معلومات مهمة عن الزعيم.

– نعم.

تتردد فى الكلام وبعد فترة صمت قصيرة يسألها رجل الأمن:

– ما هى تلك المعلومات يا أستاذة.. أنا اسمعك.

– الحقيقة أنا قابلت الزعيم فى أسيوط.

وبعد..؟!

– قابلته بناء على طلبه. هو الذى طلب مقابلتى عن طريق « امبابى » سائقه.. أو الذى كان سائقه.

- ثم ماذا بعد..

- لم أكن أصدق أنه الزعيم حقيقة.. ولهذا لم أبلغكم فورًا حتى تأكدت.

- وهل تأكدت فعلاً أنه هو.

- نعم.. ولكن حين تأكدت اختفى.. أبلغنى عم «امبابى» انه اختفى فجأة ولم يعثر له على أثر.

- وجئت طبعًا لابلاغنا لنساعدك فى البحث عنه.

- جئت لأبلغكم لأن الزعيم فى خطر.. والواجب أن نحميه.

- هل تعتقدين أنه خطف.. أو أغتيل؟

- ربما.

- وهل تتهمين أحداً بخطفه أو اغتياله؟

- أنت تعرف أن الراغبين فى ذلك كثيرون.

- لقد أراحهم الزعيم ومات.

- مات؟!.. كيف؟

- نعم مات.. هل كنت تعتقدين أنه جاء مرة أخرى ليخلد. لقد جاء ليموت كما مات أول مرة.

- ولكن كيف عرفتم؟

- يا أستاذة «ن» نحن نعرف كل شىء.. نعرف أنك قابلته عند «امبابى» وكيف تنكرت للوصول إليه بعيداً عن عيوننا. تصورت أن عيوننا يمكن أن تكون بعيدة. ولكنها كانت قريبة

وترى كل شيء منذ البداية وحتى النهاية.

تشعر «ن» بشيء من الارتباك. وتحاول تبرير موقفها.

- الحقيقة.. انني..

- الحقيقة انك اخفيت معلومات تتعلق بأمن الدولة وتمس سلامة الوطن وأمنه.. وكان يمكن أن نقبض عليك ونحولك إلى التحقيق.

- لم أكن أنظر إلى المسألة من هذه الزاوية.. في بداية الأمر كنت أتصور أنني أمام حالة من حالات الانتحال والنصب التي كثرت في هذه الأيام.

- نحن أيضاً كنا نعتقد ذلك.

- ولكن لماذا لم تقبضوا عليه بتهمة انتحال شخصية الزعيم والنصب باسمه؟

- لو كنا قد قبضنا عليه لكنت أنت أول من يتهمنا بالعمالة لأمريكا وإسرائيل حتى لو ثبت بعد ذلك أنه مجرد شخص نصاب ومنتحل. كنتم ستقولون أنه الزعيم فعلاً ولكننا اجبرناه على إنكار الحقيقة.

- ولكن هل تأكدتم أنه هو الزعيم فعلاً.

- كان يجب أن ننتظر حتى نتأكد ما إذا كان هو الزعيم فعلاً أم مجرد شخص ينتحل اسمه وشخصيته. وحين تأكدنا أنه الزعيم فعلاً لم نستطيع عمل شيء.

- لماذا لم تقبضوا عليه؟

– أأنت التى تقول ذلك.. كيف نلقى القبض على عبدالناصر فى مصر.. بلده الذى كان رئيسه وزعيمه.

– ألم تكونوا خائفين منه؟

– لماذا نخاف منه.. لقد كنا خائفين فعلاً.. ولكننا خائفون عليه.. ولسنا خائفين منه.

– ولكن كيف مات؟

– مات بارتفاع ضغط الدم!

يمد يده ويفتح درج مكتبه ليخرج منه ورقة يناولها لها.

– هذا هو تقرير لجنة وزارة الصحة التى وقعت الكشف الطبى عليه بعد أن أبلغ «السفرجى» عم إسماعيل عن وفاته. وطلب استخراج تصريح بدفنه.

– عم إسماعيل السفرجى؟.. الذى كان سفرجى عنده حينما كان؟

– نعم.. حين شعر الزعيم بالتعب. يبدو أنه شعر بدنو الأجل فخرج من عند «امبابى» وذهب إلى إسماعيل ليموت عنده بعد أن كتب وصيته.

– كتب وصيته؟

– نعم.

– يفتح درج المكتب ويناولها ورقة.

– هذه هى صورة من وصيته.. لم يطلب فيها غير أن يدفن فى مقابر الفقراء وبدون إعلان وألا يمشى فى جنازته أحد.

– ألم يكتب شيئًا غير ذلك.

– الوصية فى يدك وتستطيعين قراءتها.

تنظر إلى الورقة.. تقرأها فى صمت قبل أن تقول:

– لقد كان عظيمًا فى حياته.. عظيمًا فى مماته.

يقول فى لهجة تفوح منها رائحة الشماتة:

– هل لاحظت أنه طلب ألا يمشى أحد فى جنازته.. حتى من الناصريين؟!

– تتجاهل ملاحظته وتقول:

– أكيد مات كمدًا وحزنًا.

– ماذا تقصدين؟

– لقد ارتفع ضغطه حين رأى ما رآه.. وسمع ما سمع..

– وما الذى رآه وسمعه؟

– لقد مات لأنه كان يرفض الحياة معنا.. مات لأنه كان يريد أن يموت.. رفضًا للواقع. أو احتجاجًا عليه.

– هل تقصدين أنه انتحر؟

– الزعيم أكبر من أن يفعلها.. ولكنه مات حين رأى الواقع على غير ما كان يتمنى. لم يستطع التكيف معه. فجاء رفضه للواقع فى صورة رفض للحياة نفسها. فمات. كنا ننتظره ليخلصنا. فلم يستطع إلا الخلاص بنفسه.

– رحمه الله .. مرة أخرى.

– بل يرحمنا الله.. نحن الأولى برحمته الآن.

(٢٣)

يدخل العالم الأمريكى ذو الأصل العربى.. فيقوم الأستاذ (ع) و(الريس) للسلام عليه مرحبين.. يقول (الريس) فى أسى:

– أرأيت ما الذى حدث؟

– نعم.. لقد اختفى الزعيم فى ظروف غامضة.

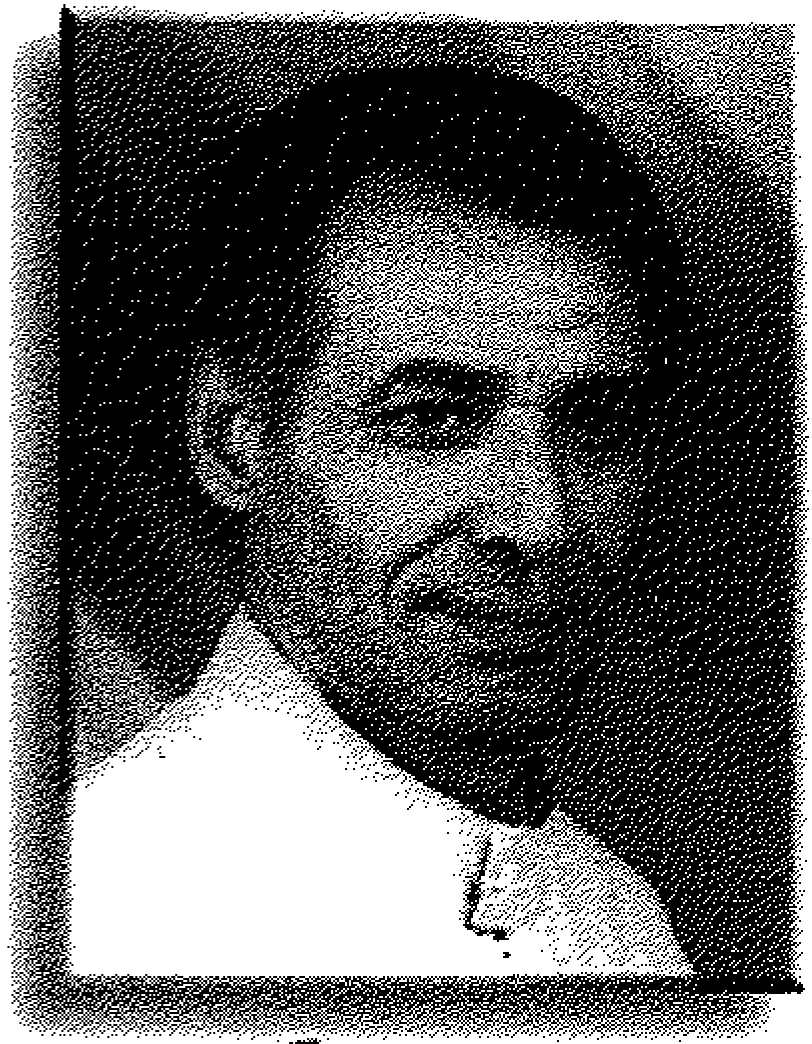
– ولكن أين ذهب فى رأيك؟

– ليس مهمًا إلى أين ذهب.. ولكن المهم أنه عاد.. لقد نجحنا فى إعادته.. ويمكن أن نعيده مرة أخرى.. ومرات.

يقف (الريس) معترضًا:

– لا.. أرجوك.. دعنا نعيش على صورته القديمة.. الصورة الجميلة التى عرفناه بها، وأحببناه عليها.

ينظر إلى الصورة المعلقة على الحائط أمامه.. فيرى عبدالناصر محمولاً على أعناق الجماهير..!!



سليمان الحكيم

**هذه الروايــة...**

يحاول الكاتب هنا أن يجيب على السؤال .. ماذا لو عاد عبد الناصر الآن؟ وحين نصف هذه الرواية بأنها سياسية .. فإننا نقصد انها تتضمن وجهة نظر لكاتبها، قد نتفق أو نختلف معها .. ولكننا فى النهاية نقر بحقه فى التعبير عنها فى مقابل حقنا نحن فى الإختلاف أو الإتفاق معها.

وكاتب هذه الرواية أو «المسرواية» هو الكاتب الناصرى المعروف سليمان الحكيم .. الذى أصدر أكثر من عشرة كتب دفاعاً عن عبد الناصر والناصرية .. ولهذا فانه حين ينقد الناصرية فانه يكون بمنأى عن شبهة نقضها .. ومن هنا تأتى أهمية هذا العمل الأدبى الذى يتعرض فيه الكاتب لنقد التجربة من داخلها .. فهو أحد أبنائها .. ومن أكثر الذين دافعوا عنها ضد مهاجميها من الخارج.

من حقنا أن نقرأ الرواية .. ومن حقنا أن نختلف معها ومع كاتبها .. ولكن ليس من حقنا أن نصادر على رأيه لمجرد انه جاء مختلفاً أو حتى مخالفاً لرأينا.

**النـاشــــر**

